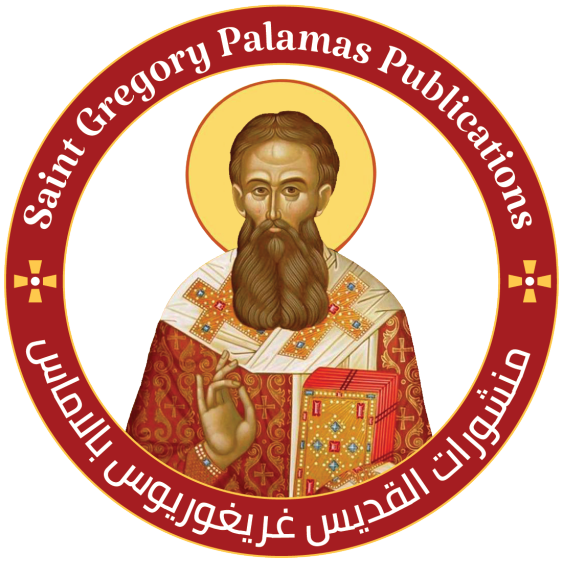

مقالات

التريودي المقدّس
والأسبوع العظيم المقدّس

صوم ٢٠٢١

الفهرس

الابن الشاطر هو النموذج المثالي للخاطئ التائب ١
القدّيس يوستينوس بوبوفيتش – صفحة القديس غريغوريوس بالاماس .....

الدينونة العامة ٢
المُتَقَدِّم في الكهنة الأب مايكل بومازانسكي – تعريب شادي مخّول.....

عظة في أحد الغفران ٥
القدّيس يوحنا كرونشتادت – تعريب نديم سلوم .....

في بهجة أن نكون أرثوذكسيّين – عظة في الأحد الأوّل من الصَّوم (أحد الأرثوذكسيَّة) ٧
القدّيس يوحنا كرونشتادت – تعريب الأب نيقولاوس بو صعب .....

القدّيس غريغوريوس بالاماس والتقليد الهدوئيّ ٩
للأرشمندريت غريغوريوس اسطفان – رئيس دير رقاد والدة الإله – بكفتين .....

الخطايا المُميتة السَّبع ١١
الأرشمندريت أثناسيوس ميتيليناوس – تعريب ماهر سلوم.....

عظة في أحد السجود للصليب ١٢
القدّيس يوحنا كرونشتادت – تعريب نقولا أنطوان موسى .....

عظة في الأحد الرابع من الصوم ١٥
القدّيس يوحنا كرونشتادت – تعريب نقولا أنطوان موسى .....

عظة في الأحد الخامس من الصوم الكبير ١٦
القدّيس يوحنا كرونشتادت – تعريب: فريق القديس غريغوريوس بالاماس .....

دخول الرب المقدس إلى أورشليم ١٨
أحد الشعانين – تعريب جولي سعد .....

في ترتيلة ”ها هوذا الختن يأتي في نصف اللَّيل ٢٠
القديس يوحنا كرونشتادت– تعريب شادي مخول

عظة في يوم الجمعة العظيم والمقدّس ٢٢
القديس لوقا أسقف سيمفيروبول – تعريب جينفر سعد.....

الابن الشاطر هو النموذج المثالي للخاطئ التائب

القديس يوستينوس بوبوفيتش

صفحة القديس غريغوريوس بالاماس

وَحدُه إنجيلُ المسيح يُدرك تمامًا سرّ الخطيئة وسَبَبَها وكل ما يتخفّى ضمنَها. مَثَل الابن الشاطر في الإنجيل هو النموذج المثالي للخاطئ التائب. يُرينا الإنجيل أنّ الإنسان، من خلال إرادته الحرّة، بإمكانه مشاركة حياته مع الأرض أو مع السماء، مع الشيطان أو مع الله، مع الفردوس أو مع الجحيم. تُعَرّي الخطيئة الإنسان تدريجيًا من كل ما هو إلهي بداخله، تُشلّ كلّ مُيوله ورغباته الإلهيّة، حتى تُلقيه أخيرًا في حضن الشيطان. عندها يَبلُغ الإنسان حالة رَعي خنازير سيّده، أي الشيطان. الخنازير هي الأهواء، وهي دائمة الجشع والشراهة. في حياة كهذه، يكون الإنسان البائس لا شيء سوى مُختَلّ العقل.

في مَثَل صارخ في الإنجيل، يقول الرب عن الابن الشاطر، «رجع إلى نفسه» (لوقا ١٥: ١٧). كيف رجع إلى نفسه؟ رجع إلى نفسه من خلال التوبة. بالخطيئة يصبح الإنسان مَجنونًا مُختَلًا. كلّ خطيئة، حتى تلك التي تبدو وكأنها الأتْفَه، هي دائمًا اختلال للنفس. بالتوبة يعود الإنسان إلى وَعيه ويصبح صحيحًا مُجَدَّدًا، يرجع إلى نفسه. ثم يصرخ بصوت عالٍ إلى الله، يَعدو إليه، ويبكي أمام السماء: «أبي، أخطأتُ إلى السماء وأمامك» (لوقا١٥: ١٢).

وماذا يفعل الآب السماوي؟ هو رحيمٌ دائمًا ورحمته غير مُتَناهية عندما يرى أحد أبنائه في حالة توبة. يَتَحَنَّن عليه، يركض، يُعانقُه، ويُقَبِّلُه. يأمر خدّامه السماويّين، أي ملائكته القدّيسين: «أخرجوا الحلّة الأولى وألبسوه واجعلوا خاتمًا في يده وحذاء في رجليه. وقدّموا العجل المسمّن واذبحوه فنأكل ونفرح لأنّ ابني هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالًا فوُجِدَ. فابتدأوا يفرحون» (لوقا ١٥: ٢٢-٢٤).

وهذا ما يحصل لكلّ واحد منّا، ولكلّ خاطئ يتوب. هكذا يكون فرح وسعادة في سماء الرب والإله الكلي الرحمة ومعه جميع الملائكة القديسين.

https://www.johnsanidopoulos.com/2020/02/the-prodigal-son-is-perfect-example-of.html

الدينونة العامة

المُتَقَدِّم في الكهنة الأب مايكل بومازانسكي

تعريب شادي مخّول

هناك عدَّة شهادات في الكتاب المقدَّس عن واقعيَّة الدينونة العامة العتيدة وعدم قابليَّة الشَّك بها:

يوحنا ٥: ٢٢، ٧٢-٩٢؛ متى ٦١: ٧٢؛ ٧: ١٢-٣٢؛ ١١: ٢٢، ٤٢؛ ٢١: ٦٣، ١٤-٢٤؛ ٣١: ٧٣-٣٤؛ ٩١: ٨٢-٠٣؛ ٤٢: ٠٣؛ ٥٢: ٣١-٦٤؛ أعمال الرُّسل ٧١: ١٣؛ يهوذا ٤١-٥١؛ ٢ كورنثوس ٥: ٠١؛ رومية ٢: ٥-٧؛ ٤١: ٠١؛ ١ كورنثوس ٤: ٥؛ أفسس ٦: ٨؛ كولوسي ٣: ٢٤-٥٢؛ ٢ تسالونيكي ١: ٦-٠١؛ ٢ تيموثاوس ٤: ١؛ رؤيا يوحنا ٠٢: ١١-٥١.

من بين تلك الشهادات، نُلاحظ الصورة الأكثر كمالًا عن الدينونة الأخيرة التي سَيُجريها المُخلِّص في متى ٥٢: ٣١-٦٤: «وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ...». إنسجامًا مع هذا الوصف، يمكننا أن نشكِّل خلاصة عن خصائص الدينونة. فهي ستكون:

- شاملة؛ أي تشمل كلَّ إنسان حيٍّ وراقد، كلَّ صالح وشرّير، وحتى الملائكة الساقطين أيضًا بحسب دلائل أخرى من الكتاب المقدَّس (٢ بطرس ٢: ٤؛ يهوذا ٦).

- مَهيبة وعَلَنيَّة؛ فالديَّان سيظهر في مجده مع كلِّ ملائكته القدِّيسين أمام كلِّ الشعوب.

- حازمة ومَرهوبة؛ أي مُتَمَمَّةً بعدل الله – سيكون «يَوْمَ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلاَنَ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ» (رومية ٢: ٥).

- نهائيَّة وحاسمة؛ لأنَّها تحدِّدُ مصيرًا أبديًّا لكلِّ من قد دِيْنَ. نتيجةُ الدَّينونة ستكون نصيبًا أبديًّا – غبطةٌ للأبرار وعذابٌ للأشرار المُدانين.

يُصوِّرُ الكتاب المقدَّس إشراق الأبرار في الحياة الأبديَّة وسماتهم المُغبَّطة بعد الدينونة العامَّة، ويتكلَّم بهذا التأكيد والجَزْم عَينه بما يختصُّ بعذابات الأشرار الأبديَّة. سيقول ابنُ الإنسان في يوم الدينونة «اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ... فَيَمْضِي هؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (متى ٥٢: ١٤، ٦٤). تُقدَّم حالة العذاب هذه في الكتاب المقدَّس كمكان للعذاب، ويُسمَّى جهنَّم. (صورة جهنَّم النَّاريّ مأخوذة من وادي هنُّوم الذي يقع خارج أورشليم، هناك أُعدم عددٌ كبيرٌ من الناس، كما وتمَّ التخلُّص من كلِّ ما هو نجس، لذلك، بغية الحماية من العدوى، كانت النيران دائمة الاشتعال هناك). قال الرَّب: «وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ يَدَانِ وَتَمْضِيَ إِلَى جَهَنَّمَ، إِلَى النَّارِ الَّتِي لاَ تُطْفَأُ. حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ» (مرقس ٩: ٣٤-٤٤ أيضًا ٥٤-٨٤). أيضًا، قال المخلِّص «هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ» (مت ٨: ٢١؛ كما وفي أماكن أخرى أيضًا). تُسمَّى هذه الحالة أو هذا المكان في رؤيا القديس يوحنا اللاَّهوتيّ، بـ«بُحَيْرَةِ النَّارِ» (رؤيا ٩١: ٠٢). وعند الرَّسول بولس نقرأ: «في نار لَهيب، مُعْطيًا نَقْمَةً لِلَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ، وَالَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢ تسالونيكي ١: ٨). صُوَرُ «الدُّود الذي لا يموت» و«النار التي لا تُطفأ» هي رمزيَّة وتُشيرُ إلى صَرامَة العذاب. يُعلِّق القديس يوحنا الدمشقيُّ قائلًا: «سيُدفعُ الخطأة إلى النَّار الأبديَّة، التي لن تكون نارًا ماديَّة كتلك التي اعتدْنا عليها، إنَّما نار بحسب معرفة الله» (المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي ٤: ٢٧ FC p.٤٠٧).

يكتب القديس يوحنا الذهبيُّ الفم: «أعرف أنَّ كثيرين يخافون من جهنَّم فقط، لكنَّني أعتقد أنَّ الحرمان من هذا المجد (مجد ملكوت الله) هو عذابٌ أكثر قساوة من جهنَّم» (العظة ٣٢ عن متى). ويُظهرُ في مكان آخر أنَّ «هذا الحرمان من الأمور الحسنة سيولِّدُ عذابًا وحزنًا وضيقًا، فحتَّى لو لم يوجَد عقابٌ ينتظر من أخطأوا هنا، إلَّا أنَّ هذا الحرمان يُمكنه أن يُسبِّب عذابًا وقلقًا لنفوسنا أكبر من جهنَّم... كثيرون هم الجهلاء الذين يرغبون بأن يخلصوا من جهنَّم فقط؛ لكنَّني أعتقد بأنَّ جزاءَ الحرمان من ذلك المجد هو عذابٌ أشدّ ضراوة من عذاب جهنَّم. وأعتقد أنَّ كلَّ مَن حُرم منه عليه ألَّا يبكي كثيرًا على عذابات جهنَّم بل لأنَّه

حُرم من كلِّ خيرات الملكوت، فهذا الحرمان بذاتَه هو أكثر قساوةً من كلِّ العقوبات» (العظة ١، إلى ثيوذوروس).

يُمكننا أن نجد شرحًا مماثلًا عند القديس إيريناوس أسقف ليون (ضدّ الهرطقات ٥، ٧٢).

يُعلِّم القديس غريغوريوس اللّاهوتي: «آمن أنت يا هذا بالقيامة والدّينونة والمُجازاة العادلة من عند الله. وافهم هذه المجازاة على أنّها نورٌ لأنقياءِ القلوب أعني أنّهم سَيَرَون الله وسيعرفونه، كلٌّ واحد على قدر طهارته، هذا ما نسمّيه أيضًا الملكوت السّماوي. أمّا أولئك الذين عُميَت أذهانهم، أعني بهم الذين تغرّبوا عن الله، جَزاؤهم أنّهم سيكونون في ظلمة بقدر ما عندهم من عمى» (العظة ٤٠، في المعموديّة المقدّسة).

تؤمن الكنيسة، استنادًا على كلام الله، بأنَّ العذاب في جهنَّم سيكون أبديًا لا نهاية له، وقد شجَبَت في المجمع المسكوني الخامس تعليم الأورجنيسيّين الخاطىء القائل بأنَّ الشياطين والأئمَة سيُعانون في الجحيم لوقت معيَّن، ومن ثمَّ سيعودون إلى حالتهم الأصليَّة من البراءة[١]. يُسمّي القديس يوحنّا اللّاهوتيّ، في سفر الرؤيا، الإدانة في الدينونة العامَّة بـ«المَوْتُ الثَّاني» (رؤيا ٢٠: ٤١).

بغية فهم عذابات جهنَّم بمعنى نسبيّ، وفهم الأبديَّة كنوع من عصر أو حَقَبَة – رُبَّما حقبة طويلة، لكنّ لها نهايةً – جرت محاولة في العصور الوسطى ترفض بشكل عام حقيقة هذه العذابات، تمامًا كما تتمُّ اليوم مُحاولات مُماثلة. تُقدَّم في هذه المحاولة تصوُّراتٌ منطقيَّة: إذ يُشارُ إلى التَّباين بين عذابات كهذه وصلاح الله، كما هو الحال في التَّباين الظّاهري بين الجرائم الوقتيَّة وأبديَّة العذابات بسبب الخطيئة، وكما هو الحال في التَّفاوُت بين هذه العذابات الأبديَّة وقَصْد الله النهائي من خلق الإنسان، الذي هو الغبطة في الله.

لكن ليس لنا أن نرسم الحدود ما بين رحمة الله التي لا توصف وعدله أو صلاحه. نعلم أنَّ الرَّبَّ «يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ» (١ تيموثاوس ٢: ٤)؛ لكنَّ الإنسانَ قادرٌ، من خلال إرادته الشريرة، أن يرفض رحمة الله وسُبُلَ الخلاص. يُعلِّقُ الذهبيُّ الفم في تفسيره لوصف الدينونة: «بعدما تكلَّم الرَّبُّ عن الملكوت قائلًا «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ» أضافَ «الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ» (متى ٢٥: ٤٣). لكنَّه لم يتكلَّم على هذا النَحو عندما تكلَّم عن النَّار، إنَّما قال: «الْمُعَدَّةُ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ» (مت ٢٥: ١٤). فإنّي قَد أَعدَدتُ لكم مَلكوتًا، أمَّا النار التي أعددتُها فهي ليست لكم بل لإبليس وملائكته. لكن، اتَّهموا أنفسَكُم بما أنَّكم قد ألقَيتُم بأنفسكم في النار. (العظة ٠٧ عن متى).

لا يحقّ لنا بأن نفهم كلام الرَّب بشكل مشروط فقط، أي كتهديد أم كوسيلة تأديبيَّةً يستخدمها المخلِّص. إن فَهمناها كذلك نكونَ قد زَلَلنا لأنّ الرب لم يَغرُس فينا فَهمًا كهذا، ونكون قد خَضَعْنا لسخط الله كما قال كاتب المزامير: «لماذا أسخطَ الكافرُ الله؟ لأنَّه قال في قلبه: إنَّكَ لا تُطالِبُ» (مزمور ٩: ٣٣).

علاوةً على ذلك، فإنَّ مفهوم «الغضب» المتعلِّق بالله هو تشبيهيّ، هذا ما نتعلَّمه من تعليم القديس أنطونيوس الكبير، القائل: «الله صالح، لا أهواءَ فيه، ولا يعتريه تَحَوُّلٌ. الإنسانُ يقبل بهذا القول كحقيقة صادقة، لكنَّه يَحارُ متسائلًا: أيُعقَل أن نقولَ إنَّ اللَّه يفرحُ بالصَّالحينَ ويرحم من يكرِّمونه، لكنَّه يترك الأشرار ويغضب على الخطأة؟ الإجابة على هذا التساؤل هي أنَّ «الله لا يفرح ولا يغضب، لأن الفرح والسَّخط هي أهواءٌ؛ ولا يُكتَسبُ رضاه بما يقدِّمُه مُكرِّموه، لأنَّ ذلك يعني أنَّه يرضَخ للرَّغبات والمُتعة... فالله صالح، ولا يصنع إلا الصلاح. إنه لا يَضُرُّ أحدًا، ويبقى كما هو عليه على الدّوام. أمَّا بالنسبة لنا نحن البشر، فإن بقينا صالحين بمُماثَلَتنا لله فنحن نتَّحد به، لكن إن صرنا أشرارًا بعدم مماثلتنا له، نكون قد فَصَلْنا أنفسنا عنه. نلتصق بالله بعَيشنا حياةً قداسة، لكن إن صرنا أشرارًا نجعَل منه عدوًّا لنا. لاَ يعني ذلك أنَّ الله سيغضب علينا ظُلمًا، بل إنَّ خطايانا الشخصيَّة هي التي تمنع الله من أن يُشرق فينا، وتُخضعُنا للشياطين الذين سيعرِّضوننا للعقاب. وإن تحرَّرْنا من خطيئتنا بفعل الصلاة وأعمال الرَّحمة، لا نكون قد

غيَّرنا اللّه باقتنائنا إيَّاه من جديد، إنَّما، من خلال أفعالنا والتفاتنا إلى اللّه، قد عالَجْنا شُرورنا واستَعَدْنا لَذَّة تذوُّق صلاح اللّه. وبالتالي إن قُلنا إنَّ اللّه يَصرف وجهه عن الأشرار، نكون كمن يقول بأنَّ الشَّمس تحجب ذاتها عن العُميان» (الفيلوكاليا-١).

أيضًا، إنَّ تعليق القديس ثيوفانيس الحبيس لهو جديرٌ بالانتباه؛ يقول: «سيذهب الأبرار إلى حياة أبديَّة، أمَّا الخطأة المُتشيطنين فإلى عذاب أبديّ في شركة مع الأبالسة. هل ستنتهي هذه العذابات؟ إن كان لمُماثلة الشيطان نهاية، عندها سيكون هناك نهايةٌ للعذابات أيضًا. لكن، هل سينتهي هذا التَّماثل بالشيطان؟ سوف نرى ونُعاين في حينه. لكن حتى ذلك الحين، كما أنَّنا نؤمن بأنَّ الحياة الأبديَّة لا نهاية لها، كذلك علينا أن نؤمن بأنَّه ما من نهاية للعذابات الأبديَّة التي تتهدَّد الخطأة أيضًا. ما من تخمين يُظهر إمكانيَّة انتهاء الشَّر. لا يوجد أي شيء لم يُبصره الشيطان بعد سقوطه! لقد ظهرت قوى اللّه بأشكال مُتنوِّعة! كيف سُحق الشيطان نفسه بقوَّة صليب الرَّبّ! كيف هُزم دهاؤه وخُبثُه بقُدرة الصليب هذه! ومع ذلك، لا يزال الشيطان غير قابل للإصلاح، فهو يعارض باستمرار؛ كلَّما ابتعد، زاد عنادًا. لا، ما من أمل بأن يَصطلح! وبما أنَّه ما من أمل له، كذلك ليس هناك من أمل للإنسان الذي أصبح شيطانًا بتأثير من الشيطان. هذا يعني أنَّه هناك ضرورة للجحيم وللعذابات الأبديَّة»[٢].

تُظهر كتابات النسَّاك القديسين المسيحيّين أنَّه كلَّما انجلت يقظة الإنسان، كلَّما ازداد فطنةً بشعوره بالمسؤوليَّة الأخلاقيَّة وبالخوف من إحزانه للّه، وكلَّما ازداد يقظةً تجاه حَتْميَّة العذاب عند الانحراف عن وصايا اللّه. لكنَّه على هذه المنزلة أيضًا ينمو الرَّجاء برحمة اللّه. الرَّجاء بهذه اليقظة وطلبها من الرب، هو واجبٌ وعزاءٌ لكل منَّا.

المصدر:

Pomazansky, Protopresbyter Michael. Orthodox Dogmatic Theology. Translated and edited by Hieromonk Seraphim Rose and the St. Herman of Alaska Brotherhood, 2009. Page 346.

[١] نجد التّعليم عن إعادة تجديد الخليقة (αποκατάστασης - Apokatastasis) عند المجيء الثاني للمسيح في أعمال الرُّسُل ٣: ١٩-٢١: «فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ، لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ. وَيُرْسِلَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الْمُبَشَّرَ بِهِ لَكُمْ قَبْلُ. الَّذِي يَنْبَغِي أَنَّ السَّمَاءَ تَقْبَلُهُ، إِلَى أَزْمِنَةِ رَدِّ كُلِّ شَيْءٍ (αποκατάστασεως)، الَّتِي تَكَلَّمَ عَنْهَا اللَّهُ بِفَمِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ». علينا أن نفهم كلمة Apokatastasis هنا كتغيير وتجديد وتجلٍّ للإنسان والعالم عند القيامة العامَّة، كما ذكرنا بإيجاز في هذا الفصل. لا يجب أن تُفهم كـ«خلاص شامل» لأنَّه مفهومٌ هرطوقيٌّ أوريجنّسيّ (نسبةً لأوريجنّس) يقول بأنَّ الجنس البشريّ بأسْره، وحتى كلّ الشياطين، سوف يَلجون أخيرًا إلى الغبطة الأبديَّة. المفهوم الأرثوذكسي لـ Apokatastasis موجودٌ في مجموعة كتابات القديس مكسيموس المعترف: Ambigua، التي تحوي على دَحْضٍ وتصحيحٍ للأوريجنسيَّة.

[٢] يكتب القديس يوحنا الدمشقي: «يجب أن نعلم أنَّ السقوط بالنّسبة للملائكة هو مُساوٍ لما هو الموت بالنّسبة للبشر. لأن بعد سُقوطهم ليس لهم توبةٌ، وكذلك الأمر عند البشر بعد الموت». (المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي٢: ٤؛ FC page ٢١٠)

عظة في أحد الغفران

القدّيس يوحنا كرونشتادت

تعريب: نديم سلّوم

«فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَّتِكُمْ» (متى ٦: ١٤ – ١٥).

يُدعى هذا الأحد بأحد الغفران لأنَّ الكنيسة تُرشدُنا اليوم إلى قراءة الإنجيل الذي يعلّمنا أن نَغفر زَلاّت الآخرين لكي يغفر لنا أيضًا أبونا السماوي زَلاّتنا التي لا تُحصى. لهذا السبب، كانت هناك عادة بين المسيحيين الأتقياء منذ القديم في هذا اليوم وفي كلّ أيام أسبوع مرفع الجبن أن يطلبوا الغفران من بعضهم البعض عمّا أخطأوا به تجاههم. هذه حقًا عادة مسيحيَّة جميلة، فهل هناك مَن لا يخطئ ضدَّ قريبه في القول أو الفكر أو الفعل؟ ومَن يطلب الغفران يثبّت إيماننا في الإنجيل وتواضعنا ووداعتنا ومحبَّتنا للسلام؛ وعلى العكس ذلك، عدم الرغبة في طلب الغفران من أولئك الذين أخطأنا بحقّهم، يكشف في الإنسان الذي يرفض السلام قلّة الإيمان والكبرياء والغرور وتذكّر الشر وعصيان الإنجيل ومقاومة الله والتّوافق مع الشيطان. إنّنا جميعًا أبناء أبينا السماويّ بالنعمة وأعضاء في المسيح الإله وأعضاء في جسد الكنيسة الواحد الذي هو جسده (للمسيح) وأعضاء بعضنا البعض؛ فالله محبَّة، وهو يطلب منّا محبَّة متبادلة أكثر من أي ذبائح ومُحرقات، «مَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. مَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. مَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلاَ تَحْتَدُّ، وَلاَ تَظُنُّ السُّوءَ، وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. مَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا» (١ كورنثوس١٣: ٤ – ٨). يتألّف ناموس الله من كلمتيْن: محبَّة الله ومحبَّة القريب. مع ذلك، فإنّ قلبَ الإنسان أنانيٌّ للغاية وغير صَبور وعنيد وخبيث ويستحضر الشر: إنه مستعدٌّ أن يغضب من قريبه ليس بطريقة شريرة مباشرة بل أيضًا عبر مُخيّلته، وليس فقط عبر كلمة مسيئة بل أيضًا عبر كلمة مُزعجة أو قاسية أو عبر نَظْرة تبدو شريرة أو غامضة أو خبيثة أو مُتَعجرفة، ويكاد يغضب حتّى من أفكار الآخرين التي يتخيّلها حوله. هكذا قال الربُّ فاحص القلوب عن قلب الإنسان: « لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ: زِنًى، فِسْقٌ، قَتْلٌ، سِرْقَةٌ، طَمَعٌ، خُبْثٌ، مَكْرٌ، عَهَارَةٌ، عَيْنٌ شِرِّيرَةٌ، تَجْدِيفٌ، كِبْرِيَاءُ، جَهْلٌ» (مرقس٧: ٢١ – ٢٢).

ولكن يجب أن يتواجد أيضًا علاجات قويَّة ضدَّ الأمراض الشديدة؛ فحقد الإنسان الكبير يقابله الإحسان اللامتناهي والنعمة الكلّيَّة القوة لله: ينهزم كلُّ شرٍّ في النفس وفي الاخرين بسهولة بمساعدته عبر التواضع وعدم الحقد والتواضع والصبر وطول الأناة. يَعظُ المخلّص قائلًا: «وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا» (متى ٥: ٣٩ – ٤٠). لأجل مغفرة خطايا إخوتنا، نلنا وعدًا بمغفرة الخطايا والرحمة والبركة الأبديَّة من قِبَل أبينا السماويّ في يوم الدينونة الرهيب: «طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ» (متى ٥: ٥). ولكن الحقدَ المتصلّب مُهدَّدٌ بحكم الله العادل وبالعذاب الأبديّ. استمع الآن إلى قصّة توضح كيف يعاقب الله، حتّى ههنا على الأرض، أولئك الناس الّذين يحقدون ويبغضون بعضهم بعضًا. في العصور القديمة في لافرا مغاور كييف، كان هناك راهبان: تيطس الكاهن وإفاغريوس الشماس. بعد أن عاشا لبضع سنوات في سلام وصداقة، وبسبب بعض الأمور، نشأت عداوة وكراهيَّة تجاه بعضهما واستمرَّ حقدُهما المتبادل لفترة طويلة وتجاسرا على القيام بالذبيحة غير الدمويَّة حتّى من دون مصالحة. وعبثًا نَصحَهُما الإخوة لهما بالتخلّص من الغضب والعيش مع بعضهما البعض بسلام وانسجام. ذات مرَّة أصيبَ الكاهن الراهب تيطس بمرض خطير. بعد أن فقد كل أمل في الحياة، بكى بكاءً مرًّا على خطيئته وطلب من عَدُوّه المغفرة، ولكن إفاغريوس لم يرغب حتّى بسماع ذلك وبدأ يلعنه بشدَّة. أسِفَ الإخوة لسماع ذلك وجَرُّوه

بالقوة إلى الرجل الذي يُحتَضَر. لمَّا رأى تيطس عدوَّه، نهض من فراشه بمساعدة الآخرين وسَجَدَ عند قدميْه متوسِّلاً بالدموع أن يغفر له؛ لكنَّ إفاغريوس القاسي القلب أبى عليه ذلك وصرخ بشدَّة: لن أتصالح معك أبدًا، لا في هذا العالم ولا في العالم الآتي! للحال أفلت إفاغريوس من أيدي الإخوة وسقط أرضًا. أراد الرهبان إقامته ولكنَّهم اندهشوا برؤيته ميتًا وباردًا كأنَّه مات منذ فترة طويلة! وازدادت دَهشتَهم بالأكثر عندما قام الراهب الكاهن تيطس في نفس الوقت من فراش الموت بصحَّة جيِّدة وكأنَّه لم يمرض قط. أحاط الحاضرون بتيطس وهم مُرتَعدون وكانوا يتساءلون واحدًا تلو الآخر ماذا يَعني كل هذا. أجاب: بينما كنتُ مريضًا أنا الخاطئ، كنتُ غاضبًا من أخي، رأيتُ ملائكة يبتعدون عنّي ويبكون على هلاك نفسي بينما الأرواح النجسة كانت تفرح، لهذا السبب رغبتُ أن أتصالح معه أكثر من أي أمر آخر. ولكن لمَّا أتيتُم به إليَّ وانحنيتُ أمامه وبدأ يلعَنُني، رأيتُ ملاكًا رهيبًا يضربه بحَرْبَته فسقط البائسُ على الأرض ميتًا؛ ثم قام الملاك نفسه بمَدِّ يَده ورَفَعَني من فراش الموت. بكى الرهبان على موت إفاغريوس الرهيب ومنذ ذلك الوقت بدأوا ينتبهون لأنفسهم أكثر لكي لا تَغرُب الشمس وهم في حالة غضب.

أيُّها الإخوة والأخوات! إنَّ تَذَكُّر الشرِّ هو أبشع أنواع الرذيلة، وبقدر ما هو بغيض عند الله فهو أيضًا مؤذٍ للمجتمع. نحن مخلوقون على صورة الله ومثاله؛ ينبغي أن تكون الوداعة والإحسان صفاتنا الثابتة؛ فالله يعمل معنا حسب رحمته وطول أناته ويغفر لنا من دون احتساب. وعلينا أن نغفر أيضًا. ولكن من يتَذَكّر الشر ويستحضره فهو ليس على صورة الله ومثاله؛ هو وحشٌ أكثر من كونه إنسان. آمين.

https://www.johnsanidopoulos.com/2018/02/homily-on-forgiveness-sunday-st-john-of.html

عظة في الأحد الأوّل من الصَّوم
أحد الأرثوذكسيَّة

في بهجة أن نكون أرثوذكسيّين

القدّيس يوحنا كرونشتادت

تعريب الأب نيقولاوس بو صعب

كان أبونا الجليل يوحنّا كرونشتادت متقدّمًا في الكهنة في الكنيسة الرّوسيّة الأرثوذكسيّة. ولدَ عام ٩٢٨١ ومنذ العام ٥٥٨١، خَدَمَ ككاهن في كاتدرائيّة القدّيس أندراوس في كرونشتادت حيث بَذَلَ نفسه لأعمال الخير خاصَّةً للذين كانوا بعيدين عن الكنيسة وسافر لهذه الغاية كثيرًا ضمن الأمبراطوريَّة الرّوسيّة. كُرِّمَ عند رقاده. تُعَيِّد له الكنيسة في ٠٢ كانون الأوّل و٩١ تشرين الأوّل.

«هُوَذَا إِسْرَائِيلِيٌّ حَقًّا لاَ غِشَّ فِيهِ» (يو١ : ٧٤).

قال ربُّنا يسوع المسيح هذا الكلام لشخص يدعى نَثَنائيل، إسرائيليٌّ كان يتجوّل في الجليل في مدينة قانا، وبحسب نصيحة صديقه فيلبّس ذهب ليلتقي بيسوع ليتيَقَّنَ إن كان هو المسيّا المُنتَظَر لإسرائيل. قال فيلبّس لنثنائيل:

«وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءُ يَسُوعَ ابْنَ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ».

لكنَّ نَثَنائيل قال لَهُ:

«أَمِنَ النَّاصِرَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟»

فقَالَ لَهُ فيلبّس:

«تَعَالَ وَانْظُرْ».

وعندما رَأَى يَسُوعُ نَثَنَائِيلَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ، قَالَ عَنْهُ:

«هُوَذَا إِسْرَائِيلِيٌّ حَقًّا لاَ غِشَّ فِيهِ».

قَالَ لَهُ نَثَنَائِيلُ:

«مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُنِي؟»

فأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ:

«قَبْلَ أَنْ دَعَاكَ فِيلُبُّسُ وَأَنْتَ تَحْتَ التِّينَةِ، رَأَيْتُكَ».

بمعنى آخر، قال له يسوع إنَّه قد عرف جميع أفكاره وإيمانه ورجاءه بالمسيّا وخدمته المستقبليّة. لمس الرَّب، العارف ما في قلوب البشر، قلب نَثَنائيل وأفكاره العميقة ورغباته وتوقه. لقد كشف له جليًّا معرفته الإلهيّة غير المحدودة. ولذلك جُذِب نَثَنائيل إلى الإيمان بالمسيح وصرخ:

«يَا مُعَلِّمُ، أَنْتَ ابْنُ اللهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!». ومن حينها صار تلميذه.

لماذا رُتِّبَ لنا أن نقرأ هذا الفصل الإنجيليّ تحديدًا في الصّوم الكبير وفي الأحد المدعو «أحد الأرثوذكسيّة»؟ لأنَّ كلمات الرَّب لنَثَنائيل تكشف شخصيَّة المسيحيّ الأرثوذكسيّ الحقيقي، وبشكل عام تكشف طابع كنيسة المسيح الحقيقيّة.

«هُوَذَا إِسْرَائِيلِيٌّ حَقًّا لاَ غِشَّ فِيهِ» هذا ما قاله الرَّب عن نَثَنائيل. بكلام آخر، يقول الرَّب إنَّه رَجُلٌ يفكّر بشكل صحيح وجدّي وصارم ومنطقي، يؤمن ويرجو ويتكلّم ويتصرَّف بشكل صحيح أيضًا لأنَّ نَثَنائيل آمن مباشرةً أنَّ يسوع المسيح هو ابن الله ولم يتزعزع إيمانه بعد ذلك في ما يختصُّ بشخص المسيح الإلهيّ. أليس على المسيحيّ الحقيقيّ أن يكون مثله؟ أليس على المجتمع الإلهيّ للمسيحيين الأرثوذكسيين أن يكونوا كذلك؟ أليست الكنيسة الأرثوذكسيّة كذلك؟ أليس الوضع هكذا؟

ما هو الثّناء الكبير الذي مَنَحَهُ فاحصُ القلوب لنَثَنائيل بكلماته: «هُوَذَا إِسْرَائِيلِيٌّ حَقًّا لاَ غِشَّ فِيهِ»؟ أيُّ ثناء عظيم للمسيحيّ الذي سيقول له الربّ: «هُوَذَا مَسِيحِيٌّ حَقًّا لاَ غِشَّ فِيهِ»؟ وللكنيسة التي سيقول عنها الرَّب «هذه كَنِيسَةٌ حقيقيّة، لا غشّ ولا اختراعات بشريّة فيها» بمعنى آخر هي كنيسة حقيقيّة بجُملَتها وبكل عقائدها وأسرارها وخدَمها الإلهيّة وإرشادها وكامل تنظيمها.

هؤلاء الأشخاص فقط هم القديسون المحبوبون من الله؛ هكذا كانت كلّ الكنيسة الأرثوذكسيّة منذ البدء وإلى الآن، كما لو أنّها كابدت الشّهادة بتاريخ كنسيّ غير مُتَحَيِّز ومن خلال الله نفسه عبر آيات وعجائب مختلفة حصلت في الكنيسة. هي كما يقول الرَّسول:

«عَمُودُ الْحَقِّ وَقَاعِدَتُهُ» (١تيم ٣: ٥١).

هي:

«كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ». (أف ٥: ٧٢)

لقد فاضت أنهار دماء الرسل والأنبياء والشّهداء وكابد الآباء المُكَرَّمون العديد من التّعذيبات للمحافظة على الإيمان الأرثوذكسيّ. ولكن ماذا عنّا نحن أبناء الكنيسة الأرثوذسيّة؟ هل نحافظ على هذه الوديعة الثمينة، وديعة الإيمان الأرثوذكسيّ؟ هل نتبع تعاليمه وقوانينه وأنظمته وإرشاداته؟ هل نرغب في أن نقدّم الخدمة لله؟ هل نجدّد أنفسنا؟ هل نقدّس ذواتنا كلَّ يوم؟ هل نضع أنفسنا في المسلك الصحيح؟ هل نتوق إلى الكمال الذي وصل إليه القدّيسون؟ هل نسير في طريق الكمال في محبّة الله والقريب؟ هل نثمّن إيماننا؟ هل نعتبر أن رحمة الله هي أعظم شيء في الوجود وأنّه لنا الحظ المثاليّ أن ننتمي إلى الإيمان الأرثوذكسي وهذا كلّه هو الفرح الأول والأكبر في حياتنا؟ ما هي الأجوبة على تلك الأسئلة إن كنّا نودُّ أن نجيب بالنسبة إلى إدراكنا البشريّ؟

يا لحزْينا! علينا أن نقرّ أنَّه بالنسبة للكثير من الأرثوذكسيّين يغيب الإيمان الأرثوذكسي عن ألسنتهم وليس فقط من قلوبهم، وفيهم قد اضمحلَّ الإيمان بالكامل أو قد تحوَّل إلى عدم مبالاة بالمقارنة مع أيّ دين آخر أكان كاثوليكيًّا أم لوثريًّا أم يهوديًّا أم محمّديًّا أم حتّى وثنيًّا. نسمع أنَّ الإنسان يستطيع عبادة الله في أيّ ديانة. بكلام آخر، إنَّ كلَّ ديانة يفترض أنّها ترضي الله وأنَّ الحقَّ والباطلَ والبرّ والإثم هم أمورٌ لا يبالي بها الله.

إنَّ جهل الإيمان الأرثوذكسيّ وروحانيّة الكنيسة وتاريخها والتّغرُّب عن حياتها وخدَمها الإلهيّة قد أدّى بالكثيرين إلى «كُسوف» في فهم الأرثوذكسيَّة وغير الأرثوذكسيّة وسائر الأديان الأخرى! يُحكى، ونتيجة تداعيات العصر الحديث، أنّه في مكان ما في روسيا وفي أثناء امتحان تلاميذه استشهد أحد الأساتذة بحادثة تقدمة ابراهيم لابنه اسحق واصفًا إيّاها بالقصّة التافهة. هذه هي الظُّلمة

والفوضى والجهل الخبيث.

على المؤمن، الذي هو عضو في الكنيسة، أن يعي إيمانه ويجاهد في عيشه وتحقيقه لينال الخلاص لأنّ أعداء خلاصنا لا ينامون أبدًا فَهُم يترصّدون تدميرنا كلّ يوم وكلّ ساعة. لا يتجاهلنّ المسيحيّ الأرثوذكسيّ إيمانه كبعض الناس ولا يعتبرنه كلعبة طفل تُرمى في سلّة المهملات بعد الاستعمال أو كأمرٍ يختصّ فقط بغير المتعلّمين.

من الضروري أن نُذَكِّر في هذا السياق أنّ الذين يعتقدون بأنّ إيماننا عتيقٌ ومكرّمٌ، وتمتدّ جذوره إلى أصل جنسنا البشريّ وأصالته وارتباطه المُباشَر بالله، هم كُثر ولهم وظائف ومستويات عديدة وقد عاشوا وحصلوا على الخلاص في هذا الإيمان- الملوك المجيدون والفلاسفة الحكماء، مُشَرِّعو القوانين والولاة العظام، النبلاء والبسطاء، الأغنياء والفقراء، الرِجال والنساء، جمال ومجد الجنس البشريّ.

علينا، ومن أجل مجد الإيمان الأرثوذكسيّ، أن نقرّ بأنّه يستحيل أن يوصل أي دين آخر الإنسانَ إلى حالة الكمال الأخلاقيّ أو القداسة أو إرضاء الله مثل الإيمان الأرثوذكسيّ. ويظهر ذلك جليًا في تاريخ الكنيسة وفي أصداء عجائب وأعمال قدّيسيها ورجالاتها المكرّمين غير البالية حيث بَلَغوا درجة قصوى في إرضائهم لله بسيرتهم وأصبحوا رائين وصانعي العجائب حتى خلال حياتهم. وهكذا على العقل السليم أن يفكّر أنّه فقط الإيمان الكامل وكلّ قواه الإلهيّة مع كامل التأهّب لله قادرٌ أن يؤهّل المرء للكمال ضدّ أهواء الجسد وضدّ العالم والشيطان.

حتى وإن كان كثيرٌ من المسيحيّين الأرثوذكسيّين يعيشون في مسلك حياتيٍ سيّء، فلا يمكن أن يؤخَذ هذا الأمر ضدّ الإيمان الأرثوذكسيّ غير المهتزّ ومبادئ الحقّ والقداسة التي فيه بالإرتباط بوعد المخلّص نفسه وشهادة التاريخ. هؤلاء، حتى وإن سبقونا ورقدوا، لم يكونوا يومًا منّا بالفعل! إنما بالإسم فقط...

نعم، يا إخوة، وحده الإيمان الأرثوذكسيّ ينقّي ويقدّس الطبيعة البشريّة التي فسدت بالخطيئة. هل ترغبون بالتأكد من ذلك؟ طالعوا سيَر القديسين وتاريخ الكنيسة وستَلاحظون ذلك بأنفسكم. سترون ذئابًا تحوّلت إلى حملان وزناةً تحولوا إلى رجال ونساء ذَوي سيرة ملائكيّة مكرّمة وبخلاءً إلى رموز في العطاء ومُحبّيَ اللذّة إلى نسّاك. سترون أصحاب نفوذ وعَظمة أرضيّة بأثواب رهبان متواضعة... هؤلاء كانوا حقًا مسيحيّين، كانوا ملائكة بالجسد ومواطني السماوات وهم بعد على الأرض... هذا ما يستطيع إيماننا الأرثوذكسي فعله مع الذين يتوقون إليه ويتبعون منهجه!

ولكن لماذا لا يفعل فينا هذا التغيير الخلاصيّ؟ هذا كلّه بسبب عدم إيماننا وفسقنا وفسادنا وعدم توبتنا القلبيّة وبسبب أهوائنا التي تكاثرت وطغت علينا جرّاء بُعدنا عن الكنيسة، ولأنّ الكثيرين لا يتحلّون بروح الكنيسة وحياتها وهم مُتّصلون بها بشكل خجول ورسميّ وغير جدّي. بالنسبة لنا، لكيّ نكون مسيحيّين أرثوذكسيين أصيلين، علينا بادئ ذي بدء أن نمتلك حياةً واتصالاً دائمًا بالكنيسة الأرثوذكسيّة أي أن نشارك في صلواتها وتعاليمها وأسرارها وأن ندرس بأمانة إيماننا وأن نحياه بروحانيّته ونقتدي بقوانينه ووصاياه ومفاهيمه. والأهمّ أن نعيد تجديد صورة المسيحيّ الأرثوذكسيّ بتوبة صحيحة وصادقة على حسب صورة القدّيسين السابقين والمعاصرين وعلى مثال ربّنا يسوع المسيح نفسه الذي يقول:

«لأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالاً، حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا». (يو ١٣: ١٥)

حتى يقول الربّ لنا أيضًا كما قال لنَثَنائيل:

«هُوَذَا إِسْرَائِيلِيٌّ حَقًّا لاَ غِشَّ فِيهِ».

آمين.

المرجع:

https://preachersinstitute.com/2010/01/26/on-the-joy-of-being-orthodox-st-john-of-kronstadt/

القدّيس غريغوريوس بالاماس والتقليد الهدوئيّ

للأرشمندريت غريغوريوس اسطفان
رئيس دير رقاد والدة الإله – بكفتين

عن نشرة الكرمة – عدد 13

الأحد الثّاني من الصّوم – أحد القديس غريغوريوس بالاماس

من الهدوئيّة وحياة السكون والصلاة غير المنقطعة، دُعي القدّيس غريغوريوس بالاماس للدفاع عن إيمان الكنيسة وخبرة حياتها الإلهيّة. من الهدوئيّة وسكون الأهواء نشأ لاهوت الكنيسة، لاهوتًا مكتوبًا بالنعمة لا بمنطق البحث والفلسفة.

العقلانيّون والباحثون بتعظّم الفكر يُصبحون بسهولة مبتدعين، لأنّ أفكارهم الخاصّة، التي توحي إليهم بها أهواؤهم، تصير ناموس إيمانهم. المجاهدون في الحياة الروحيّة، في تعب الجسد والصوم والسهر وصلاة الذهن، متى جاهدوا بتواضع، يمتلئون من النعمة الإلهيّة، ويستطيعون التمييز بوضوح بين الخبرة الروحيّة التي تقود إلى الخلاص وبين الخبرات الكاذبة التي تقود إلى الضلال.

عبّر عن هذه الخبرات الفاسدة شخص يُدعى برلعام، مثّل خبرة دنيويّة آتية من تيّارات فكر عصر النهضة الغربيّ، التي حاولت أن تُجدّد حياة الإنسان، بتركيزها على الإنسان وقدراته النفسيّة والعقليّة، لتجعل منه إلهًا، يُقاوم كُلّ عمل الإله الحقيقيّ. كل الّذين خرجوا من الأرثوذكسيّة تحوّلوا تلقائيًا إلى هذه الروح الإنسانويّة.

فالنعمة المخلوقة التي شاء الغرب أن تكون صلة وصلهم مع اللّه، تلد مثل هذا الإنسان الدنيويّ. ليست المعرفة ولا المحاولات لعيش حياة أخلاقيّة حسنة كافية لخلاص الإنسان، إنّما تطهير القلب الداخليّ بالنسك وبنعمة اللّه هي الطريق الوحيد إلى ملكوت السماوات. القدّيس بالاماس دافع عن النعمة غير المخلوقة التي تؤلّه الإنسان، وتُعدّه لملكوت سماويّ ليس من هذا العالم.

لم يتجسّد ابن اللّه لنحسّن تصرّفاتنا على الأرض إنّما لنتألّه، لنشترك مع إلهنا في كلّ ما له. هذا التألّه، يقولها بالاماس بوضوح، «هو هدف خلقنا»، هو الّذي يُحقّق لنا غاية وجودنا.

التألّه يعني الاتّحاد باللّه في نور اللّه غير المخلوق. وهذا يُشكّل جوهر الحياة الروحيّة الأرثوذكسيّة. تحقيق هذا الهدف يحتاج إلى طريقة حياة هدوئيّة.

هذا لا يعني أن الحياة الرهبانيّة الهدوئيّة هي المكان الوحيد لبلوغ هذا الهدف، إنّما هي المكان الأمثل. لهذا كان القدّيس بالاماس، في إقامته سنة كاملة في مدينة تسالونيكيّ، يعقد حلقات للعلمانيّين لتدريبهم على صلاة يسوع وعيشها في أجواء هدوئيّة ضمن عائلاتهم ذاتها.

فالهدوئيّة ليست هربًا من العالم، إنّما هي الحالة التي يبلغ إليها الإنسان الّذي يُحبّ اللّه فوق كل شيء آخر في العالم، ويكون مستعدًا لكل صراع ضدّ العالم والشياطين حفظًا لوصايا المسيح. فالهدوئيّة الحقيقيّة لا يُبلغ إليها من دون سعي وثيق لحفظ وصايا المسيح.

«ناموس الخطيئة»، بحسب قدّيسنا، لا بدّ من أن يُستبدل بناموس اللّه؛ لقد وعد المسيح بأنّه يسكن في الّذين يحفظون وصاياه. تكشف لنا الوصايا سرّ المسيح وتقودنا إلى الكمال. هذه الوصايا لا يمكن أن تُمارس إلا بالنسك وغصب الطبيعة. لأنّ طبيعتنا في حالة السقوط تشتهي ضدّ وصايا المسيح.

يتكلّم القدّيس بالاماس عن انفصال الذهن عن القلب، وتحطيم الوحدة التي كانت تجمع قوى النفس. هدوء حواس الجسد يقود إلى هدوء قوى النفس الداخليّة، وتستعيد قوى النفس وحدتها من خلال الحياة الهدوئيّة. أساس الحياة الهدوئيّة يقوم على التوبة والصمت والصلاة الداخليّة.

من هذه الجهادات تتولّد الدموع مع الصبر والاتّضاع. يُعطي القدّيس بالاماس أهميّة عظيمة للصلاة الذهنيّة، التي هي أساس كل طريقة الحياة الهدوئيّة. الصلاة الحقيقيّة تولد من الاتّضاع والتوبة والبكاء على الخطايا.

التوبة هي موت الإنسان عن هذا العالم.

ولا يتحقّق هذا الموت من دون نسك. فالصوم والتقشف والصمت وكل ابتعاد اختياريّ عن التنعّم وراحة الجسد هي الوسائل للموت عن هذا العالم.

ينبغي أن تموت فينا كل رغبة بشهوات هذا العالم، وازدراء كل غنى وخيرات هذا العالم، والتحرّر من كل سعي للتكريم واقتناء أمجاد هذا العالم.

«كلّ هذه الحياة الوقتيّة، بالنسبة لبالاماس، ليست للتنعّم، إنّما «منحنا إياها اللّه كمكان للتوبة». فالتوبة لا تعني أننا لن نخطئ بعد إنما اننا سنقاوم الخطيئة بكلّ قوّتنا. لهذا، الروح «يستقرّ مع أولئك الّذين يحيون في التوبة، ويهجر أولئك الّذين يخطئون ولا يتوبون».

التوبة هي تحويل الذهن إلى المسيح. هذا الذهن الضال، كما يُسمّيه بالاماس، ينبغي أن يعود إلى أبيه الراعي الصالح، حيث يجد وحدة الحقّ الّذي مزقته وجزّأته أنانيّة محبّة الذات، وكانت النتيجة الموت.

كل مأساة الإنسان بعد السقوط توجد في هذا الذهن الّذي أظلم. في رسالة إلى الراهبة كساني، يشرح فيها بالاماس صعود الذهن نحو اللّه في النور، يقول إنّ الصعود الروحيّ يبدأ بتطهير الذهن من كلّ الأهواء الأثيمة وفي عودته إلى ذاته.

عمل الهدوئيّ الأوّل هو رصد الأفكار والتحرّر من كلّ الصور الواردة إلى الذهن.

فالهدوئيّة هي اليقظة الداخليّة على حركة الأفكار والإيحاءات الشيطانيّة التي تسعى لإظلام الذهن.

وهذا يتطلّب من الهدوئيّ أن يرتفع فوق كل الأفكار والمعرفة البشريّة ذاتها. لهذا، تستدعي الحياة الهدوئيّة نسيان العالم والتجرّد من كلّ ما هو أرضيّ. يضع القدّيس بالاماس العذراء مريم والدة الإله نموذجًا للهدوء العقليّ وصمت الذهن وتطهير الحواسّ.

وهكذا، الهدوئيّة هي السلام الداخليّ وحفظ الذهن من التيهان، في راحة عدم التأثّر بالأهواء. إنّها المكان الأمثل لتطهير الحواسّ وقطع كلّ الأفكار من اليمين واليسار.

هذه هي الوسيلة الكاملة لكي يصل الذهن إلى صفاء لا يوجد فيه إلّا صورة يسوع المسيح. النفس والجسد خُلقا معًا ليخلصا معًا، لهذا نقاوة الذهن تُحقّق نقاوة القلب، تُقدّس النفس كلّها وتنتقل إلى الجسد وتُطهّره.

شدّد قدّيسنا على أنّ نور التجلّي هو نور إلهيّ غير مخلوق، ليس من هذا الدهر؛ يُعاينه القدّيسون في هذه الحياة الحاضرة، وفي هذا النور عينه سيعاينون المسيح آتيًا بمجده الأزليّ في اليوم الأخير.

وهذا هو النور الّذي سيسكن فيه القدّيسون في الحياة الأبديّة. إنّه اشتراك في مجد اللّه وفي حياته الأبديّة.

هذه الدعوة للشركة في النور الإلهيّ تنقض تلك الروح الفاسدة التي يسعى كثيرون لنشرها، من آريوس إلى برلعام وحتّى عصرنا الحاضر، أوّلاً عبر تهميش عقائد الإيمان الأرثوذكسيّ؛ وثانيًا عبر ازدراء خبرة النسك والجهاد الروحيّ الهدوئيّ.

بحسب القدّيس بالاماس، في عظته عن حياة القدّيس بطرس الآثوسيّ، إنّ أولئك الّذين يُحاربون الهدوئيّة مروّجين لحياة مسيحيّة تقوم على نشاطات وخدمات رعائيّة للمجتمع، يضلّون مستوحين أفكارهم من عدوّ خلاصنا إبليس.

تهدأ النفس الداخليّة ويستنير الذهن بطريقة الحياة الهدوئيّة، ويتلقّيان النعمة الإلهيّة بوفرة، التي هي عربون ميراث القدّيسين. النعمة الإلهيّة تعطى لأولئك الّذين أحبّوا اللّه الخالق أكثر من هذا العالم الزائل، لا بل أكثر من ذواتهم نفسها، فبلغوا إلى الهدوء المقدّس.

عظةٌ في إنجيل الأحد الثاني من الصَّوم

القديس يوحنا كرونشتادت
تعريب شادي مخّول

«يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» (مر ٢: ٥)

من الواضح أنَّ المفلوج قد أُحضِرَ إلى المسيح ليشفيه من مرضه الذي جعله مطروحَ الفراش. غير أنَّ المسيح قد شفى نفس المفلوج من خطاياها أوَّلًا، ومن ثمَّ شفى جسده من مرضه. إذ قال له: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» وبعد أن غفر خطاياه قال له «قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!» (مر ٢: ١١). ماذا تعني طريقة الشفاء هذه؟ إنَّها تعني أنَّ الأمراض التي تُصيبنا هي نتيجة خطايانا، وأنَّه يستحيل علينا أن نتحرَّرَ كليًّا من الأمراض ما لم نُنقِّي أنفسنا من هذه الخطايا أوَّلًا، تمامًا كما يستحيل القضاء على النتائج قبل الفتك بأسبابها أوَّلًا. وبما أنَّه من الطَّبيعيّ وجود بعض الأشخاص العاجزين في أيامنا هذه، وهم يبحثون عن سُبل للشفاء من عجزهم، سنتكلَّم الآن عن العلاقة التي تربط بين خطايانا وآلامنا الجسديَّة.

هل هناك حقًّا من علاقة وثيقة بين خطايانا وآلامنا وأمراضنا الجسديَّة، حتى أنَّ عيوب الجسد القويَّة والطَّويلة الأمد، هي نتيجةٌ لهذه الخطايا؟ حقًّا، إنَّ هناك علاقةً كهذه، ما بين الخطيئة والعيوب الجسديَّة: إنَّ الخطيئة تفتك بالنفس كما بالجسد أيضًا. هكذا يتحدَّث الرَّسولُ الإلهيُّ عن الخطيئة: «إِنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ» (رو ٦: ٣٢). هذا يعني أنَّ الخطيئة، كطاغية قاسٍ، تجمع الجزية من الَّذين يعملون لأجلها؛ الكلُّ يعمل لأجلها. هذه الجزية هي الموت. بالتالي، إنَّ الموت هو جزيةٌ لخطايانا، وفي معظم الأحيان يسبق الموت أمراضًا طويلة الأمد. من هنا تتَّضح هذه العلاقة الوثيقة ما بين الخطايا والعيوب الجسديَّة. عندما تُبادُ الخطيئة، يُبادُ المرض والموت أيضًا. لهذا ما من وجود للأمراض في الدَّهر العتيد. ويشهد يوحنَّا الإنجيليُّ في سفر الرؤيا قائلًا إنَّ «الْمَوْتَ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ» (رؤ ٢١: ٤).

غالبًا، بسبب خطايانا، سيُرسل الله بنفسه مرضًا، مثلًا، «لِيُسَلَّمَ مِثْلُ هذَا لِلشَّيْطَانِ لِهَلاَكِ الْجَسَدِ» (١كور ٥: ٥)، كما حصل مع ذاكَ الذي اتَّخذ امرأةَ أبيه، حسب ما ورد في الإصحاح الخامس من رسالة بولس الرَّسول إلى أهل كورنثوس؛ أو يحرم شخصًا ما من إمكانيَّة استعمال حواسِّه أو أعضاء جسده، أو يُعرِّض آخرين لأمراضٍ مختلفة. في هذه الحالة، المرض هو من عمل خيريَّة الله، الَّذي «لاَ يُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا» (حز٣٣: ١١). حلاوةُ الخطيئة تغوي الناس فيموتون، لكنَّ الله الكليَّ الصلاح، لا يبتغي أن نُبادَ إلى المنتهى، إنَّما يشاءُ أن نصير كلّنا شركاءَ في غبطته. لكن، كيف له أن يصنع ذلك عندما لا يكترث الإنسانُ للنعيم الآتي ولا يفطن للعذاب الأبدي، وعندما يُسلِّم ذاته بالكليَّة للملذَّات والمُتَع الدنيويَّة؟ عندما يكون الإنسانُ حيًّا، يشعر بملء قوَّته ويفتكر بمدى ملاءمة هذه الحياة حسب ما يشتهي. كيف ندفعه إلى التفكير بالله وبالحياة الأبديَّة التي خُلق لينالها، أم كيف ندفعه إلى سُبل الإيمان والفضائل لكيما يُصبحوا حياة قلبه؟ الطريقة المُثلى لتحقيق هذه الغاية هي الأمراض والآلام. على المرء فقط أن يُحدِّق بإنسان مريض أو بآخر حلَّت به بليَّةٌ ليقتنع بفائدة الأمراض والبلايا. عندما تحدث هذه الأمور، يبدأ الإنسانُ بالتفكُّر في اليوم الذي سيلتقي فيه مع الله، سيدخلُ إلى ذاته وسيرى كم هو حقيرٌ وزائل: «كُلُّ جَسَدٍ عُشْبٌ، وَكُلُّ جَمَالِهِ كَزَهْرِ الْحَقْلِ» (إش ٤٠: ٦). ويرى أنَّ كلَّ ما هو أرضيٌّ هو غبارٌ وباطلٌ، وأنَّ الله والفضائل فقط يدومون إلى الأبد، وأنَّه على

الإنسان أن يخدم الله في هذه الحياة بالرُّوح والحقّ وأن يدَّخر الفضائل للحياة الأبديَّة.

يا إخوة! كلُّنا نمرض وتكتنفنا البلايا، وكلُّنا نتمنَّى، وفقًا لشريعة السلامة الذاتيَّة، أن نكون أصحَّاءَ ومعافين. لنتذكَّر أنَّ أمراضنا، التي هي ثمرةُ تعدِّياتنا وعيشنا في التواني والخلاعة منذ البدء، هي في معظم الأوقات، حسب قوَّتها وأمدها، عقابٌ من الله على خطايانا. إن أردنا أن نكون أحرارًا من المرض، علينا أن نفتك بمسبِّباتها الرئيسيَّة، أي خطايانا، حينئذ ستتبدَّد كلُّ البلايا الظاهرة من تلقاء ذاتها. لنتذكَّر أنَّ العيوب والموت لما وُجدوا في الجنس البشريِّ لو لم تدخل الخطيئة إلى العالم بالإنسان الأوَّل. دعوا الآخرين يتخيَّلون ما يشاؤون عن أسباب الأمراض؛ ولكن إن توغَّلوا في عمق جوهر هذه المسألة، سيصلون إلى التفسير عينه عن ماهيَّة الأسباب الرئيسيَّة. إلى حدٍّ ما إنَّ طبيعةَ الإنسان الجسديَّة قد تهشَّمَت بشدَّة، وقد هشَّمتها الآن قوَّاتٌ عدائيَّةٌ داخليَّة، لذلك هي حسَّاسةٌ تجاهَ أبسط تغيُّر طبيعي، الذي هو سبب صيرورتها ضَعيفةً وسهلة الفناء.

الآن هو وقت الشفاء الروحيّ. هلمَّ نفرُّ من الخطيئة التي تُعذِّبُ نفوسنا بشدَّة، حينئذٍ «تَنْبُتُ صِحَّتُنَا سَرِيعًا» (إش ٥٨: ٨).

المصدر:

Season Of Repentance: Lenten Homilies Of Saint John Of Kornstadt. Page 101-104.

الخطايا المُميتة السَّبع

الأرشمندريت أثناسيوس ميتيليناوس
تعريب: ماهر سلّوم

أبنائي الأعِزّاء، دَعونا نُجيب على بعض أسئلتكم:

"لقد ذكرتَ منذ مُدّة أن الشَّراهة هي أول الخطايا المُميتة السَّبع. ما هي الخطايا المميتة السّت الأخرى، وما معنى كل واحدة منها؟ مثلًا، هل الشَّراهة تعنَي مُتعة الأكل؟ ما معنى الشَّراهة بالضَّبط؟"

أبنائي الأعزّاء، كما ربّما تعلمون، يُحَدِّد الآباء الخطايا السَّبع المُميتة التّالية. تُسَمّى «مُميتة" لأنّها تؤدّي إلى موت النّفس. بالتأكيد، كل خطيئة مستمرّة يمكن أن تكون مُميتة للنَّفس. حتّى أصغر الخطايا، التي لا تندرج بين الخطايا «المُميتة»، إن أعيد ارتكابُها بدون توبة، هي قادرة أن تَقودَني إلى موت النّفس. لكنّ الخطايا التي تؤدّي حتمًا إلى موت النّفس هي ما يُسَمّى بالخطايا المُميتة.

بما أن الشّخص الذي طرح السّؤال يَبغي المعرفة، دَعوني أقول التّالي قبل أن أعَدِّد لكم ما هي الخطايا المُميتة السَّبع. ربّما تفترضون أن القتل، على سبيل المثال، هو خطيئة مُميتة. أقول لكم، يا أبنائي، أن القتل ليس خطيئة مُميتة! القَتل ببساطة هو خطيئة كبيرة، لا خطيئة مُميتة. يمكن أن تتفاجأوا عندما تعرفون ما هي الخطايا المُميتة. وهي بالتَّسَلسُل الصحيح كالتّالي:

١. الشَّراهة (Γαστριμαργία)

٢. الفُجور (Πορνεία) : البِغاء، الخَلاعة، الزِّنى

٣. الطَّمَع (Φιλαργυρία) : البُخل، محبّة المال

٤. الغضب (Ὀργή)

٥. الحُزن(Λύπη): غريبة جدًّا! سوف أشرح الأمر لاحقًا.

٦. اللامُبالاة (Ἀκηδία) : هذه غريبة أيضًا

٧. التكبُّر (Ὑπερηφανία) : بعض الآباء يوردون ثماني خطايا مُميتة ويقسمون آخر خطيئة إلى المجد الباطل (Κενοδοξία) والتّكبّر. Ὑπερηφανία بالحقيقة إنهما الأمر ذاته، المجد الباطل هو الخطوة الأولى والتكبّر هو الخطوة الثّانية من الخطيئة ذاتها.

فلنتحدّث قليلًا عن هذه الخطايا.

الشَّراهة هي الشّهوة أن تكون مَعدَتُنا مليئة بالكامل. في اللغة اليونانيّة، كلمة الشَّراهة مُشتَقّة من كلمة (gaster) التي تعني «المَعدة". يجب أن نُميِّز ما بين الشَّراهة ومُتعة الأكل بما يَلي. هناك أشخاص يريدون أن يملأوا مَعدَتهم ولا يَهمُّهم بماذا يَملأونها. هناك أشخاص لا يَبتَغون أن تكون مَعدَتهم مَملوءة بالكامل لكنّهم يشعرون بمُتعة الطّعام في أفواههم. هذا ما نَعني بمُتعة الأكل: إنه الرَّغبة بالشُّعور بمُتعة الطّعام من خلال حاسّة الذّوق. إذن، يمكن أن تلتقوا بأشخاص يقولون: "لا أريد أن آكل كثيرًا، أريد قليلًا من الطّعام فقط، لكن يجب أن يكون مُميَّزًا". هذه حال مُتعة الأكل. طبعًا إنها الخطيئة ذاتها، ما عدا الفَرق البَسيط الذي تحدّثتُ عنه. سوف أقول بضع كلمات فقط عن كل خطيئة. الشَّراهة هي أن تأكل أكثر من حاجَتك كي تبقى على قَيد الحياة. يمكن للشَّخص الشَّره في الأكل أن يصل إلى درجة أن يجعل الأكل غايةَ حياته. بكلام آخر: "لا أتناول الطّعام كي أبقى على قيد الحياة بل من أجل أن آكل." بل أكثر من ذلك: أوَلّهُ بَطني. تمامًا كما قال بولس الرسول في رسالته إلى أهل فيليبي: "الذينَ إلَهُهُمْ بَطْنُهُمْ" (فيليبي ٣:١٩). بكلام آخر: "فلنأكل ونشرب، لأننا نموت غدًا." أو كما نقرأ في الإصحاح الثّاني من حكمة سليمان:

«فَتَعَالَوْا نَتَمَتَّعْ بالطَّيِّبَات الْحَاضِرَة... مَا دُمْنَا في الشَّبيبَة، وَنَتَرَوَ مَنَ الْخَمْرَ الْفَاخِرَة" (حكمة ٢:٦). هذا ما يقول النّاس اليوم أيضًا، لا يوجد أي شيء آخر بالنسبة لهم. الحياة هي طعام وشراب فقط... يمكن لكم أن تُدركوا مدى المادّيّة هنا. إنه تأليه للذّة الطّعام والمَذاق، إلخ. إن الباب الذي يؤدّي إلى الخطايا المُميتة الباقية هو الشَّراهة بالدَّرجة الأولى.

فبعد الشَّراهة مُباشَرةً يأتي الفُجور والخَلاعة والجنس قبل الزّواج وعلاقات الحب الممنوعة وكلّ ما لا يسمح به الله. بماذا يسمح الله؟ فقط الزّواج. العلاقات خارج الزّواج تُعتَبَر زنى، إنها خطيئة مُميتة. أين أولئك الذين يؤيّدون العلاقات خارج الزّواج؟ أو النَّظريّات الفرويديّة (نسبةً لفرويد freud) ونَظريّات شمولية تأثير الجنس؟ أين أولئك النّاس؟ انتبهوا يا أبنائي الأعزّاء، أنتم تستمعون إلى كلمة الله ولا يجب أن تَنغرّوا بما يقول أناسٌ آخرون هذه الأيّام. انتبهوا جيّدًا كيف تعيشون حياتكم، لا كأبناء الظّلمة بل كأبناء النور.

ثم يأتي الطَّمَع، أي محبّة المال. لا يعني الطَّمَع أو البُخل أن أكدّس الأموال للمُحافظة عليها، لكن ببساطة إنني أحبّ المال، لا يهمّ إذا كنتُ أكدّسُه أو أنفقُه. عندما نتحدّث عن مُحبّ المال في هذه الأيام، فنحن نقصد الشّخص البَخيل، فيما الكلمة تَعني محبّة الفضّة باللغة اليونانيّة، الفضّة كانت المال. إن كنتُ أكدّسه في البيت ولا أنفقُه أو أنفقُه بالكامل بعد أن تكديسه، أي أنني بَذَرتُه سُدى، هما رَديفان للهوى ذاته المُسَمّى الطَّمَع. من المعروف أن الفُجور غالبًا ما يكون موجودًا في سنين الشّباب. بينما الطَّمَع يَسود في مُنتَصَف العُمر خاصّة عند الكُهول. إسمعوا ما يقول القديس كاسيانوس الرّومي: "إن الذي لا يملك المال سوف يموت ميتةً رديئةً إذا وضع رجاءه في المال عوضًا عن الله." لهذا السبب يقول القديس بولس إن الطَّمَع هو عبادة أوثان. علاوةً عن ذلك، الطَّمَع أو البُخل يُثير أهواءً أخرى.

الخطيئة المُميتة الرّابعة هي الغضب. ما الفرق ما بين الغضب (ὀργή) والامتعاض (θυμός)؟ الامتعاض ينتهي بسهولة وبسرعة. أمّا الغضب فهو امتعاض طويل الأمَد. مَثَلًا، أتذكّر تَصَرُّفًا قام به أحدٌ ما تجاهي، وأشعر دائمًا بالاستياء والامتعاض نحوه، هذا هو الغضب. من دون شك، الامتعاض يقودُني إلى الغضب. لأجل هذا، لا يجب على الشخص الرّوحاني أن يشعر بالامتعاض أبدًا، وإذا امتعضَ لسببٍ ما، فعليه أن يعترف ويَتوب بسرعة.

خامسًا، الحُزن، لكن عن أي حُزنٍ نتحدّث؟ هناك نوعان من الحزن يا أبنائي الأعزّاء. هناك حُزن إلهيّ وحُزن دُنيَويّ. الحزن الإلهي هو عندما أشعر بالأسى على خطاياي وأحزن بسببها. أنا مُبارَك في هذه الحال، إذ إن الرب يقول: "طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ" (متّى ٥:٤). هذا النّوع من الحُزن هو مُرَحَّبٌ به ومُبارَك. لكن النّوع الآخر من الحزن، الحزن الدُّنيويّ هو الذي قال عنه القديس بولس إنه يؤدّي إلى الموت. كيف يكون هذا الحزن؟ عندما لا أستطيع أن أتعزّى بعد موت شخص حبيب، بعد موت أبي أو أمّي أو ابني، أو عندما أغتَمُّ لأنني بعتُ قطعة أرضٍ وإني آسفٌ على القيام بذلك، أو لأنني خسرتُ مبلغًا من المال، وبشكل عام، أن أبقى حزينًا على الأمور المادّيّة وغير قادرٍ على تخطّيها. هذا النّوع من الحُزن هو دُنيويّ ويقود النّفس إلى الموت. أذكر أمًّا قُتِلَ ابنُها خلال الحرب العالميّة الثّانية بين اليونان والطُّليان، كنتُ صغيرًا حينذاك لكنّني أتذكّر لأنني كنتُ أعمل عندهم. كان الصّبي عائدًا من مدرسته، وصَدَمَتهُ سيّارة فمات. لم تجد أمُّه التّعزية أبدًا. عندما كنتُ أزورهم، كانت تجلس في غرفة مُظلمة، كانت النّوافذ مُغلَقة دائمًا في غرفتها، وكانت تجلس على أريكَتها وتبكي بشكل متواصل ولا تتفوّه بأي كلمة. بعد وقت قليل أصيبَت بمرض السّرطان وماتت. هناك العديد من الأشياء المَعروفة وغير المَعروفة التي ربّما سبّبت لها السّرطان، لكن الحالة النفسيّة لكل شخص يمكن أن تكون مُسَبِّبًا للسرطان، مَثَلًا عندما يكون الشخص حزينًا أو مُغتَمًّا. كما ترَون، لقد أدّت هذه الخطيئة إلى الموت الجسديّ والرّوحي معًا. يقول القدّيس كاسيانوس إن شيطان الحزن قوي جدًّا. أعرف شخصًا التقيتُ به منذ ٧٢ عامًا. كان حزينًا جدًّا، كان يشعر دائمًا بحزن شديد يُقَيِّد نفسه، ولم يستطع حتى اليوم أن يتخلّص من هذا الحزن. وكان يقول دومًا: "شيطان الحزن يُعَذِّبُني"، إنه أمر رهيب.

ثم تأتي اللامُبالاة (التّواني، الكَسَل، عدم الاكتراث للأمور الرّوحية)، ما هي اللامُبالاة؟ إنها الكَسَل والفُتور الرّوحي. مَثَلًا، تنصح شخصًا ما بدراسة كلمة الله فيقول: "ربما غدًا"، أو تنصح أحدًا ما بأن يعيش حياة التّقوى فيُجيب: "لا أستطيع الآن، سأفعل هذا عندما أشيخ". أبنائي الأعزّاء، شيطان اللامُبالاة شديد الذّكاء. يجد دومًا وسيلة لإيقاعنا في الفُتور الرّوحي.

أخيرًا، وعلى رأس الخطايا السّبع المُميتة يأتي المجد الباطل والتكبّر. هذا ما يتّصف به الشيطان نفسه، هذا ما جعله يسقط وما جعله شيطانًا. لأجل هذا، علينا أن نكون حَذرين جدًّا لأن التكبّر هو الحافز على جميع الخطايا المُميتة التي ذكرناها. يمكننا القول إنّ التكبّر هو حَصيلة جميع الخطايا المُميتة الأخرى.

إذن، أنتم تدركون الآن أنه يجب أن تكونوا حَذرين جدًّا كيلا تقعوا في فِخاخ هذه الخطايا المُميتة.

https://www.youtube.com/watch?v=qEkw-CVAudFM

عظة في أحد السجود للصليب

للقدّيس يوحنّا كرونشتادت

تعريب نقولا انطوان موسى

«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي» (مرقس ٨: ٣٤)

يُدعى يوم الأحد الحاضر من الصوم الكبير أحد إكرام الصليب، لأنّنا نُكرِّم اليوم الصليب وآلام ربّ المجد، المصلوب من أجلنا، وأيضًا لأنّ الكنيسة عَيَّنت في هذا الأحد المقطعَ الإنجيليّ المُختصّ في كيفيّة تَحمُّل كلّ شخص صليبَه ومعاناته وأحزانه والتي هي غير مُنفصلة عن طريق اتّباع المسيح في هذا العالم. يقول الربّ للشعب ولرُسُله: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي. فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ (أي أنه يُميت أهواءه وشهواته) مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا. لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟ لأَنَّ مَنِ اسْتَحَى بِي وَبِكَلاَمِي فِي هذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ الْخَاطِئِ، فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَسْتَحِي بِهِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِ أَبِيهِ مَعَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ». (مرقس ٨: ٣٤-٣٨). يأمرنا الربّ يسوع المسيح أن ننكر ذواتنا بالكليّة، وأن ننكر الشيطان الذي يعمل فينا وكلّ أعماله وكلّ خدمة له وكلّ كبريائه، وأن نحمل صليبنا ونُكابد الحرمان وضعفنا والمعاناة والأحزان، المُرسَلة إلينا لتطهيرنا وتوبيخنا وتحصيننا في الفضائل كي نتحمَّل الإغراءات الحاصلة عبر الشياطين والبشر. نحن مُتعلِّقون بشدّة بحياتنا الجسديّة، ننمو مُتعلِّقين بخطايانا مُتشبِّثين بها، ونخشى إعلان حرب حاسمة ضدّها قاطعين كلّ العلاقات معها، نتّخذ نصف التدابير ضدّها فقط كأنّنا نحمي أنفسنا معها، كما لو أنّها أصبحت جزءًا من سماتنا الطبيعيّة، تاليًا نبقى فيها دائمًا. تتجذّر فينا أكثر فأكثر، ويصبح شنّ الحرب عليها أكثر صعوبة، وغالبًا ما نفقد أنفسنا أمام الله ونصبح أرضًا للعدوّ وفريسة له يوميًّا.

كلمات الربّ: «من أراد أن يخلّص نفسه يهلكها» تتحقّق فينا يوميًّا. نُسلِّم ذواتنا للعدوّ يوميًّا عبر كلّ أشكال الخطيئة التي تعيش وتعمل فينا، نموت يوميًّا روحيًّا، وليتنا نقوم أيضًا مرّة أخرى كلّ يوم ونرجع إلى الحياة مع الله عبر توبة الدموع! «آثامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلهِكُمْ» (إشعيا ٥٩: ٢). يمكنها أيضًا فصلنا إلى الأبد إذا لم نرجع ونتُب من أعماق قلبنا. ومع ذلك، لننظر إلى بعض الخطأة الذين أصبحوا قدّيسين مثل بطرس والعشّار ومريم المصريّة وإفذوكيّا وغيرهم. أنظروا إلى القدّيسين الذين شنّوا حربًا حاسمة لا رجوع فيها ضدّ الخطيئة وضدّ الأهواء وضدّ الشيطان، كم أحبّوا الله وحقيقته بصدق مُتخلّين عن حياتهم الجسديّة من أجل المسيح والإنجيل، لقد خلّصوا نفوسهم إلى الأبد. لماذا لا نختار أن نكافح بشكل حاسم ضدّ الخطيئة؟ نحبّ حياتنا المؤقّتة كثيرًا، نخشى أن نُحزن الجسد، نخشى من الإغراءات الكبيرة، نحبّ العالم وما يتعلّق به كثيرًا مُتناسين حتميّة الموت والعبور إلى حياتنا الجديدة. نعتمد على أن نعيش سنوات طويلة في ازدهار مستمرّ، في سعينا وراء الملذّات الحسّية وننسى سُموّ نفوسنا الإلهيّة ومصيرها في عدم الموت والبركة. ننسى أنّها أثمن بكثير من العالم بكلّ كنوزه والتي ستزول مثل الظلّ. يقول الربّ مُستنكرًا سُلوكنا الأحمق هذا: «لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟» (مرقس ٨: ٣٦-٣٧).

هناك سبب آخر لعدم اختيارنا التَّخلّي عن طريقتنا الخاطئة بحزم وأن نبقى مُستعبَدين للعالم وعاداته وتقاليده وكلّ ما يتعلّق في هذه الدنيا، الحياة الباطلة. هذا لأنّنا نخجل سرًّا بإيماننا، نخجل بالاعتراف بالربّ والعيش بحسب وصاياه وإنجيله ونخجل أن نتبعه، وذلك لكي لا نخسر الاحترام والشرف في هذا العالم الخاطئ الفاسق. وهكذا نسمح لأنفسنا بالابتعاد عن الله فيَجرُفنا جَريان هذه الحياة الخاطئة الفاسدة. نحن على يقين أنّنا نمضي وقتنا، الثمين جدًا، على حسابنا بتهوُّر، نعلم أيضًا ما هو هدف حياة الإنسان الأسمى على

الأرض، نعرف ذبيحة الفداء المُقدَّمة إلينا على الصليب، ولكن طريقة الحياة السائدة، مَفهومَنا للنور، وُجهات نَظَرنا الغريبة عن الحياة والإيمان والكنيسة، لَا تسمح لنا بأن نبتعد عن مُفترَق الطرق الذي وضعنا أنفسنا فيه، ولا تسمح لنا باستعادة الوعي والعودة إلى الصَّواب لنفكّر في مصيرنا. نحن عبيد بائسون لمُحيطنا، عبيد للعالم الخاطئ الذي يعيش في الشرّ. ومع ذلك، إذا أنتم المسيحيون تريدون أن تتبعوا المسيح وأن تدخلوا في مجده فعَليكم أن تتبعوه بدون كَلَل وأن تتمّموا وصاياه وأن تتواضعوا وأن تُصَلّوا وأن تحبّوه وأن تجاهدوا وتتحلّوا بالصبر. «بِصَبْرِكُمُ اقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ» (لو ١٢: ٩١).

عقابٌ رهيبٌ ينتظر المسيحيين غير المؤمنين لأنّهم رفضوا رعاية الربّ العظمى التي أظهرها لهم وتضحية الربّ يسوع المسيح المعطاة أيضًا لهم على الصليب. لقد استحوا به وبإنجيله وبالعيش حياة بحسب الإنجيل. سوف يستحي هو بهم أيضًا عندما سيأتي بمجد أبيه ليدين العالم. لن يعترف بهم كأخصّائه، سوف يطرحهم عن وجهه إلى الأبد. «لأنّ من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ فإنّ ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القدّيسين» (مرقس ٨: ٨٣). يا له من مصير رهيب! هكذا، بينما لا يزال أمامنا وقت، دعونا نتخلّى عن الأهواء وشهوات الجسد وكبرياء الحياة وأن لا نخاف من الصليب الذي يقودنا إلى المجد الأزليّ وأن نتبع المسيح على الدوام حيثما يوصينا: «وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضًا يَكُونُ خَادِمِي» (يوحنا ٢١: ٦٢). آمين.

عظة في الأحد الرابع من الصوم

للقدّيس يوحنّا كرونشتادت

تعريب نقولا انطوان موسى

قُرئ اليوم أيّها الإخوة والأخوات المَحبوبون المَقطع الإنجيليّ من الإنجيل بحسب مرقس، عن كيف طلب أبٌ من يسوع المسيح أن يشفي ابنَه، الصبيَّ الأصمّ الأبكم الذي كان ممسوسًا، بإخراج الروح الشرّيرة التي سَبَّبَت حالة الصبيّ. يقول الربّ لهذا النَّجس «أَيُّهَا الرُّوحُ الأَخْرَسُ الأَصَمُّ، أَنَا آمُرُكَ: اخْرُجْ مِنْهُ وَلا تَدْخُلْهُ أَيْضًا!». فَصَرَخَ وَصَرَعَهُ شَدِيدًا وَخَرَجَ. فَصَارَ كَمَيْتٍ، حَتَّى قَالَ كَثِيرُونَ: «إِنَّهُ مَاتَ!». فَأَمْسَكَهُ يَسُوعُ بِيَدِهِ وَأَقَامَهُ، فَقَامَ.» (مرقس ٩: ٥٢-٧٢). ولكن انظروا كم كان هذا الروح الذي عذّب الولد شريرًا. قال أبوه للربّ «حَيْثُمَا أَدْرَكَهُ يُمَزِّقْهُ فَيُزْبِدُ وَيَصِرُّ بِأَسْنَانِهِ وَيَيْبَسُ» (مرقس ٩: ٨١). هذا حصل أيضًا عندما أحضر الأبُ ابنَه إلى المخلّص. وعندما سأل الربُّ الأبَ، كأنّه غير عالم بالرغم من كونه الله ويعلم كلّ شيء، «كَمْ مِنَ الزَّمَانِ مُنْذُ أَصَابَهُ هَذَا؟». فَقَالَ: «مُنْذُ صِبَاهُ. وَكَثِيرًا مَا أَلْقَاهُ فِي النَّارِ وَفِي الْمَاءِ لِيُهْلِكَهُ.» وسأل الربَّ أن يتحنّن عليه وعلى ابنه ويساعدهما، إذ إنّه القادر على كلّ شيء. قال له يسوع: «إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤْمِنَ. كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ»، فصاح الأب الشَّقيّ قليل الإيمان بدموع «أُومِنُ يَا سَيِّدُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي».

هل ترون أيّة قوّة ينسبُها الربّ للإيمان وللذين يؤمنون؟ يقول «كلّ شيء مُستطاع للمؤمن». الذين يؤمنون قادرون على إخراج الشياطين وشفاء كلّ أنواع الأمراض. وكم هو عديم القوّة وبائس الذي لا يؤمن! هو لا يستطيع حتّى أن يسيطر على نفسه، ولا أن يتغلّب على خطاياه، ولكنه يخدمها كعبد ويُعذَّب من قِبَلها. وكأب تعيس أخذ ابنه الممسوس للرسل ولم يستطيعوا أن يطردوا هذا الشيطان منه، فسألوا الربّ على انفراد لماذا لم يستطيعوا أن يطردوه، فأجابهم الربّ: «هَذَا الْجِنْسُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ» (مرقس ٩: ٩٢). هذا هو مديح الربّ للصلاة والصوم. هذا هو الأساس الإنجيليّ للصوم. كيف يمكن

لأولئك الذين يُسمّون أنفسهم أتباع الإنجيل أن يرفضوا الصوم من حياتنا المشتركة كأنّه غير ضروريّ؟ أليس لأنّه في أيّامنا قد تكاثرت الشهوة والإثم وممتلكات الشيطان بكلّ أنواعها إلى حدّ كبير حتى أنّ بعض المسيحيين قطعوا علاقاتهم مع الكنيسة ونَبَذوا الصلاة والصوم مُعتَبرينها غير ضروريّة؟ ويعيشون مثل وحوش غبيّة ويَنقادون عبر شهواتهم المختلفة، بينما البعض الآخر، نتيجة حقدهم والرغوة في فمهم مثل الرجل المسوس، عازمون على ارتكاب كلّ عمل شرير: قتل وانتحار وحريق مفتعل وزرع الألغام وافتعال التّفجيرات وغيرها الكثير.

نعم، أيّها الإخوة والأخوات المَحبوبون، وصل بعض الناس إلى هذا الجنون الرهيب تحديدًا بسبب عدم إيمانهم وعَصَبيَّتهم ونجاستهم وكلّ نتائج عدم إيمانهم المدمِّرة. لا يعلّمنا إيمانُ الإنجيل الوديع القتل وزرع الألغام وافتعال التّفجيرات، بل يقول: «لتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ، لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ، وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ، حَتَّى إِنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللهِ، وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لأَنْفُسِهِمْ دَيْنُونَةً فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَيْسُوا خَوْفًا لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشِّرِّيرَةِ. أَفَتُرِيدُ أَنْ لاَ تَخَافَ السُّلْطَانَ؟ افْعَلِ الصَّلاَحَ فَيَكُونَ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ، لأَنَّهُ خَادِمُ اللهِ لِلصَّلاَحِ! وَلَكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفْ، لأَنَّهُ لاَ يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا، إِذْ هُوَ خَادِمُ اللهِ، مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ. لِذلِكَ يَلْزَمُ أَنْ يُخْضَعَ لَهُ، لَيْسَ بِسَبَبِ الْغَضَبِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا بِسَبَبِ الضَّمِيرِ» (رومية ١٣: ١-٥)، ويوصينا أيضًا أن نصلّي «لأَجْلِ الْمُلُوكِ وَجَمِيعِ الَّذِينَ هُمْ فِي مَنْصِبٍ، لِكَيْ نَقْضِيَ حَيَاةً مُطْمَئِنَّةً هَادِئَةً فِي كُلِّ تَقْوَى وَوَقَارٍ» (١ تيموثاوس ٢: ٢). يُنيرُ اللّه أعين القلب، المعميّة بالحقد، لهؤلاء الناس المَمسوسين في هذه الأيام المؤسفة الذين ينتفضون ضدّ السلطة المُعيَّنة من اللّه، يجب أن يعلموا مقدار الهاوية التي يحفرونها تحت أنفسهم والحفرة الجهنّميّة التي هم على وشك الانغماس بها.

قديمًا، قبل ظهور المسيحيّة، ثار بعض اليهود ضدّ السلطة الحاكمة، ضدّ موسى وهارون، مُوَبِّخينَهم على حُبِّهم المَزعوم للسلطة، مُجَرَّد ثرثرة عليهم؛ لكن ماذا نتج عن ذلك وما كان عقاب اللّه؟ انفتحت الأرض تحتهم، وسقطوا في القعر أحياءً، في حفرة الجحيم، مع عائلاتهم، بينما البعض الآخر، الأقلّ ذنبًا، التهَمَتهُم النّار الصّادرة من الهيكل (عدد ١٦: ١-٥٣). انظروا كم هي خطيئة رهيبة أن نَثور ضدّ من هم في السلطة! ماذا ينتظر إذًا هؤلاء العَدَميّين[١]، ماذا سيكون حكم اللّه؟ بقدر ما يسحقون عطايا اللّه، سيكون حكم اللّه أعظم. فمن هم هؤلاء العَدَميّون الإرهابيّون؟ أناس مُعَمَّدون، مسيحيون، يَرتكبون أعمالًا من العنف كهذه كالقتل والانتحار وأمور شيطانيّة. لماذا وُلدوا؟ لماذا لم يموتوا في أرحام أمّهاتهم؟ كان أفضَل لو لم يولدوا. أن يُداس على عطايا اللّه بوحشيّة وجنون: على نعمة المعموديّة والميرون وجسد المسيح ودمه، هو أمر رهيب بالفعل! يا لتعاسة أهل هؤلاء الأولاد! يا لهذا العار الذي يعانون منه!

أيّها الإخوة والأخوات، دعونا نتمسّك بإيمان كنيسة المسيح بإخلاص، بهذه السفينة الخلاصيّة التي تحفظنا من الطّوفان الكونيّ الناريّ الذي سيصيب جميع العُصاة في الوقت المستحق. لنتمسّك برُسوم الكنيسة المقدّسة التي تقودنا إلى الخلاص. دعونا نلتزم بثبات بالصوم والصلاة ونكون مُتحمّسين لخدمة اللّه. الشيطان، عدوّ خلاصنا، لا ينام، بل «يَجُولُ كَأَسَدٍ زَائِرٍ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هو» (١ بطرس ٥: ٨)، وكم عدد الذين التهَمَهُم! الصوم والصلاة بغيرة وتواضع وإيمان ومحبّة هي أسلحة فعّالة ضدّ الشيطان وضدّ كلّ الشهوات التي تحاربنا. آمين.

Season of Repentance: Lenten Homilies of Saint John of Kronstadt, pages 148-152

[١] العَدَميّة (nihilism) هي رفض جميع المبادئ الدينية والأخلاقية، والاعتقاد بأن الحياة لا معنى لها ولا قصد ولا يوجد فيها حقيقة. ظهر هذا الفكر خاصةً في القرن التاسع عشر مع فريدريك نيتشه (Friedrich Nietszche)

عظة في الأحد الخامس من الصوم

القديس يوحنا كرونشتادت

تعريب: فريق القديس غريغوريوس بالاماس

أَيُّهَا الإخوةُ والأخوات الأحبّاء! أودّ أن أحدِّثَكُم الآن وأشرح قليلاً قراءات الرسالة والإنجيل لهذا اليوم. سمعنا مقطعًا من رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين يتعلّق بقوّة التنقية التي لدم المسيح مخلّصنا، الذي قدّم ذاته ذبيحة لله الآب من أجل خطايا الجميع (عبرانيين ٩: ١١- ٤١). لقد أصغينا لمقطع من بشارة مرقس الإنجيلي عن الرب يسوع المسيح وكيف سبق وتنبّأ لرُسُله الإثني عشر من ضمنهم يهوذا الخائن، كيف أنه هو ربّنا « يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ فَيَهْزَأُونَ بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَتْفُلُونَ عَلَيْهِ وَيَقْتُلُونَهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ»(مرقس١٠: ٣٣-٤٣). ثم سمعنا في الإنجيل طلب الرَّسولَين، الأخَوين يوحنا ويعقوب، غير الملائم بالجلوس في الأماكن المتقدّمة حين يتمجّد يسوع المسيح، وكيف وبَّخهُما الرب بلطف بقوله إنّ الطريق لمجده هي طريق الصليب، والمعاناة والموت؛ كما سمعنا أيضًا عن غيظ التلاميذ الآخرين جراء غرور يوحنا ويعقوب، وأيضًا عن وصيّة الرب التي أعطاها للجميع بهذا الخصوص: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ عَظِيمًا يَكُونُ لَكُمْ خَادِمًا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلاً يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا. لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ»(مرقس ١٠: ٣٤-٥٤).

لنَعُد الآن إلى قراءة الرسالة. في رسالته إلى العبرانيين، يتكلّم بولس الرسول عن كيف أنّ «الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ، فَبِالْمَسْكَنِ الأَعْظَمِ وَالأَكْمَلِ، غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هذِهِ الْخَلِيقَةِ، وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ، يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلّٰهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللّٰهَ الْحَيَّ!» (عبرانيين ٩: ١١- ٤١). بالتالي، مغزى القراءة الرَّسوليّة هو: إذا كان رسم الدم في العهد القديم، دم الذبائح الحيوانيّة يقدّس المُنَجَّسين من أجل تطهير أجسادهم، فكيف بالأحرى يطهّر دم المسيح ضمائرنا، نفوسنا وأجسادنا من كلّ خطيئة. يقول الرسول يوحنا اللاهوتي أيضًا «دَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ» (١يوحنا ١: ٧). إذًا، لا ييأسَنَّ أحدٌ من الخطأة، مهما عَظُمَت خطيئته، لكن بالأحرى ليَتَرَجَّ أن ينال المغفرة والتطهّر من كافة خطاياه، فإنّه لدينا المخلّص، الذي بنعمته، هو حاضرٌ معنا دائمًا في كنيسته خاصة بالأسرار المقدّسة، والذي يتنازل ليطهّرنا من كلّ خطيئة فقط إن آمنّا به وتُبْنا إليه بصدق وحزم واشتركنا بإيمان ومحبّة بجسده ودمه الكليّ الطهارة.

لنستذكر الآن القديسة مريم المصرية، التي كانت غارقة في حمأة الشر، في أعماق الفسق، لكن التوبة، الإيمان، الجهادات النسكية بالصوم والصلاة، والإشتراك في أسرار المسيح المقدّسة طهّرتها، جعلتها قديسة ومُعادلة للملائكة. لنُماثل إيمانها، مُثابرَتها بالتوبة والصلاة وعشق الله، عَطَشها لشركة جسد المسيح ودمه، والرب سيُطهّرنا من كلّ خطيئة فإنّ «مِنَ الرَّبِّ الرَّحْمَةُ وَمِنْهُ النَّجَاةُ الْكَثِيرَةُ وَهُوَ يُنَجِّي إِسْرَائِيلَ مِنْ كُلِّ آثَامِهِ.» (مزمور ١٣٠: ٧- ٨).

في إنجيل اليوم، يُعلّمنا المسيح أنّه لا يجب علينا ابتغاء الأسبقيّة والتفوّق على الآخرين مُنقادين بالطُّموح والغُرور، بل بالأحرى أن نَجدَّ في سبيل الكرامة الوحيدة المرضيّة لله ألا وهي خدمة الآخرين من أجل الخلاص. كما فعل المسيح الإله نفسه الذي «لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» و«وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلاً يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا.» (مرقس١٠: ٤٥- ٤٤). «إِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ، وَهكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ.» (غلاطية ٦: ٢)، آمين.

المصدر

Season of Repentance: Lenten Homilies of Saint John of Kronstadt, pages 153-156.

دخول الرب المقدس إلى أورشليم

أحد الشعانين

تعريب : جولي سعد

مخلّصنا يسوع المسيح قد تنبّأ بها النّبي زكريا قبل زمن غابر ووصفها على الشكل التالي: «ابْتَهِجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ» (زكريا ٩:٩).

يصف الرسول لوقا، وهو شاهد عيان، هذا الحدث:

وَلَمَّا قَالَ هَذَا تَقَدَّمَ صَاعِدًا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَإِذْ قَرُبَ مِنْ بَيْتِ فَاجِي وَبَيْتِ عَنْيَا، عِنْدَ الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ قَائِلاً: «اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، وَحِينَ تَدْخُلاَنِهَا تَجِدَانِ جَحْشًا مَرْبُوطًا لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَطُّ. فَحُلاَّهُ وَأْتِيَا بِهِ. وَإِنْ سَأَلَكُمَا أَحَدٌ: لِمَاذَا تَحُلاَّنِهِ؟ فَقُولاَ لَهُ هَكَذَا: إِنَّ الرَّبَّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ».

فَمَضَى الْمُرْسَلاَنِ وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا. وَفِيمَا هُمَا يَحُلاَّنِ الْجَحْشَ قَالَ لَهُمَا أَصْحَابُهُ: «لِمَاذَا تَحُلاَّنِ الْجَحْشَ؟». فَقَالاَ: «الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ». وَأَتَيَا بِهِ إِلَى يَسُوعَ، وَطَرَحَا ثِيَابَهُمَا عَلَى الْجَحْشِ، وَأَرْكَبَا يَسُوعَ. وَفِيمَا هُوَ سَائِرٌ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. وَلَمَّا قَرُبَ عِنْدَ مُنْحَدَرِ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، ابْتَدَأَ كُلُّ جُمْهُورِ التَّلاَمِيذِ يَفْرَحُونَ وَيُسَبِّحُونَ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقُوَّاتِ الَّتِي نَظَرُوا، قَائِلِينَ: «مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! سَلاَمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِي الأَعَالِي!». وَأَمَّا بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ مِنَ الْجَمْعِ فَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، انْتَهِرْ تَلاَمِيذَكَ!». فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنْ سَكَتَ هؤُلاَءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ!».

وَفِيمَا هُوَ يَقْتَرِبُ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَكَى عَلَيْهَا قَائِلاً: «إِنَّكِ لَوْ عَلِمْتِ أَنْتِ أَيْضًا، حَتَّى فِي يَوْمِكِ هَذَا، مَا هُوَ لِسَلاَمِكِ! وَلَكِنِ الآنَ قَدْ أُخْفِيَ عَنْ عَيْنَيْكِ. فَإِنَّهُ سَتَأْتِي أَيَّامٌ وَيُحِيطُ بِكِ أَعْدَاؤُكِ بِمِتْرَسَةٍ، وَيُحْدِقُونَ بِكِ وَيُحَاصِرُونَكِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَيَهْدِمُونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ، وَلاَ يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ، لأَنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكِ».

وَلَمَّا دَخَلَ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِيهِ قَائِلاً لَهُمْ: «مَكْتُوبٌ: إِنَّ بَيْتِي بَيْتُ الصَّلاَةِ. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ!».

وَكَانَ يُعَلِّمُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ، وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ مَعَ وُجُوهِ الشَّعْبِ يَطْلُبُونَ أَنْ يُهْلِكُوهُ، وَلَمْ يَجِدُوا مَا يَفْعَلُونَ، لأَنَّ الشَّعْبَ كُلَّهُ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِهِ يَسْمَعُ مِنْهُ (لوقا ٨٤-٨٢:٩١).

هذا وصفٌ لحدث تاريخيّ جرى منذ عشرين قرنًا كما رواه شهود عيان. ولكن هذا الحدث له أكثر من أهمية تاريخية؛ فله أيضًا معنى روحي ومعنى أخلاقي أيضًا لكل إنسان مسيحي معاصر. بحسب المعنى الروحيّ، إنّ أورشليم تعني نفس الإنسان، ودخول السيّد إلى أورشليم يعني دخول الرّب إلى هذه النفس.

إن الجمع الغفير من الناس المزدحمين والمُتدافعين والمنتظرين لقاء المسيح بفرح، يرمز إلى المشاعر النّبيلة والأفكار السامية لكل شخص يستقبل اللّه مُخلّصه ومنقذه بفرح. أما قادة الجمع الذين يبغضون الرّب ويريدون قتله، يجسّدون الرغبات الدنيّوية والأفكار الأرضية، التي تسيطر على طبيعة الإنسان الكريمة وتستضعفه. فإن طبيعة الإنسان الساقطة تتمرّد على دخول السيّد إلى النفس، لأنه عندما يتتوّج اللّه في هذه النفس فإن الطبيعة الساقطة ستُدَمَّر.

يرمز الهيكل في أورشليم إلى قدس أقداس النفس البشرية- ذلك المكان المقدس حيث يوجد مَلاذٌ صغيرٌ للروح القدس حتى في أعظم الخاطئين. لكن الشهوات الدنيّوية تتغلغل هناك أيضًا وطبيعة الإنسان الساقطة تستخدم هذه الشهوات لتحقيق أهدافها الأساسية.

يشفي المسيح نفوسَ أولئك المرضى الذين يُقبلون إليه بإيمان، وهذا يعني أن بعض دوافع النّفس، بالرغم من مَرَضها، مُتعطشة إلى الوحدة مع اللّه وتبحث عنه، الطبيب الحقيقي الوحيد في العالم. إنّ نبوءة المسيح عن دمار أورشليم ترمزُ إلى هلاك أيّ نفس

يَشجُبُها اللّه، فيلفُظُها بعيدًا عنه.

لا يفرح أحد في هذا العالم إلا إذا فتح أبواب أورشليمه الروحيّة أي نَفسَه، وقَبل اللّه في داخله. الإنسان البعيد عن اللّه يشعر بوحدة حتى اليأس. إجتماعيّاته مع الآخرين لا تحرّره من وحدته، بل تزيدها. أما الذي قَبل اللّه في نَفسه لن يشعر بالوحدة حتى لو كان في الصحراء لوحده. لا يموت أحدٌ موتًا أبديًا إلاّ الذي مات فيه اللّه.

المرجع:

https://orthochristian.com/61122.html

في ترتيلة «ها هوذا الختن يأتي في نصف اللّيل»

القديس يوحنا كرونشتادت

تعريب : شادي مخّول

لقد سمعتم الآن، أيها الأحباء، ترتيلة «ها هوذا الختن يأتي في نصف اللّيل»، التي تُرتَّل في صلاة السَّحر في الأيام الثلاثة الأولى من الأسبوع العظيم. فاسمحوا لي بأن أشرح هذه الصَّلاة بغية أن يفهمها الكلّ وأن تأتي بالفائدة المرجوَّة. تذكّرنا هذه الترتيلة بالمثل الذي أعطاه المخلِّص، حيث شبَّه ملكوت السَّموات بعشر عذارى أخذن مصابيحهنَّ، بحسب عادة قديمة، وخرجنَ لملاقاة العريس. كان ناظمُ هذه الترتيلة مفتكرًا بهذا المثل أثناء كتابتها.

سنورد المثل هنا وسنشرحه بإيجاز؛ «حِينَئِذٍ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ عَشْرَ عَذَارَى، أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ. وَكَانَ خَمْسٌ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ، وَخَمْسٌ جَاهِلاَتٍ. أَمَّا الْجَاهِلاَتُ فَأَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتًا، وَأَمَّا الْحَكِيمَاتُ فَأَخَذْنَ زَيْتًا فِي آنِيَتِهِنَّ مَعَ مَصَابِيحِهِنَّ. وَفِيمَا أَبْطَأَ الْعَرِيسُ نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ. فَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ صَارَ صُرَاخٌ: هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ، فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ! فَقَامَتْ جَمِيعُ أُولَئِكَ الْعَذَارَى وَأَصْلَحْنَ مَصَابِيحَهُنَّ. فَقَالَتِ الْجَاهِلاَتُ لِلْحَكِيمَاتِ: أَعْطِينَنَا مِنْ زَيْتِكُنَّ فَإِنَّ مَصَابِيحَنَا تَنْطَفِئُ. فَأَجَابَتِ الْحَكِيمَاتُ قَائِلاَتٍ: لَعَلَّهُ لاَ يَكْفِي لَنَا وَلَكُنَّ، بَلِ اذْهَبْنَ إِلَى الْبَاعَةِ وَابْتَعْنَ لَكُنَّ. وَفِيمَا هُنَّ ذَاهِبَاتٌ لِيَبْتَعْنَ جَاءَ الْعَرِيسُ، وَالْمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى الْعُرْسِ، وَأُغْلِقَ الْبَابُ. أَخِيرًا جَاءَتْ بَقِيَّةُ الْعَذَارَى أَيْضًا قَائِلاَتٍ: يَا سَيِّدُ، يَا سَيِّدُ، افْتَحْ لَنَا! فَأَجَابَ وَقَالَ: اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُنَّ: إِنِّي مَا أَعْرِفُكُنَّ. فَاسْهَرُوا إِذًا لأَنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلاَ السَّاعَةَ الَّتِي يَأْتِي فِيهَا ابْنُ الإِنْسَانِ» (مت ٢٥: ١-١٣).

تفسير هذا المثل يكون على النحو التالي: تمثِّل العذارى العشر، اللَّواتي كان خمسٌ منهنَّ حكيمات وخمسٌ جاهلات، المسيحيِّين. بعضٌ منَّا حكماء بسبب إيمانهم وحياتهم الفاضلة ولأنَّهم يتهيأونَ للموت، وآخرون جهلاء بسبب عدم إيمانهم أو لعدم مبالاتهم بالإيمان، وبسبب حياتهم الجسدانيَّة الدَّنسة وعدم استعدادهم للموت وللدينونة التي تليه مباشرة، «وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ الدَّيْنُونَةُ» (عب ٩: ٧٢). الجاهلات، كما قيل، أخذن مصابيحهنَّ دون أن يأخذن زيتًا. لكن إلى ماذا ترمز المصابيح والزَّيت؟ المصابيح هي نفوسنا حسب ما قال المخلِّص، «سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ» (مت ٦: ٢٢)، وهو يقصد بـ«العين» قلب الإنسان أو نفسه. والزَّيت، بحسب تفسير القديس يوحنا الذهبي الفم، يرمز إلى الإحسان، أو الأعمال الحسنة بشكل عام. لذلك خرج المسيحيُّون الجهلاء لملاقاة الختن دون أن يزوِّدوا أنفسهم بالأعمال الصالحة التي تعضد حياتهم الروحيَّة. أمَّا الحكيمات، فقد قيل إنَّهنَّ قد ملأنَ الأواني بالزَّيت وأخذنها مع المصابيح، وهذا يعني أنَّهنَّ اكتنزنَ أعمالاً صالحة ليلاقينَ الختن باستحقاق. من هو الختن؟ يسوع المسيح. متى وكيف نخرج لملاقاته؟ على حياتنا، منذ بدايتها، أن تكون تحضيرًا لهذا الحدث، فكلُّ نفس ستمثل أمامه بعد الموت للمساءلة. علينا، طوال حياتنا، أن نسعى لاقتناء إيمان حيٍّ وأن نصون في قلوبنا حبًّا لله متقدًا، حينها، لن نخزى عندما سننتصب، بعد الموت، أمام عرش ربِّ المجد الرَّهيب للدينونة. سنخرج لملاقاته بعد القيامة العامَّة، عندما «سَيَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ» (يو ٥: ٢٨-٢٩).

الختن، أي المسيح، ليس في عجلة من أمره ليُنهي حياتنا بالموت إذ «هُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ» (٢ بط ٣: ٩)، وهو يأجِّل مجيئه الثاني الرَّهيب والمجيد لتتضاعف أعداد أبناء الملكوت. وبينما حلاوة الخطيئة تغوي البشر، وهم في ظنِّهم أنَّهم سيُفلتون من العقاب، وأنَّ العالم سيبقى مستقرًا إلى الأبد، وأنَّهم يحيون متمتِّعين بصحَّة جيِّدة وبسلع ماديَّة، إلَّا أنَّهم يُغرقون أنفسهم في رقاد الخطيئة غير آبهين بإصلاح ذواتهم، وهكذا ينامون نومة الخطيئة. غير أنَّهم، في منتصف ليل رُقادهم في الخطيئة، بينما يكونون غير مفتكرين في ظلمة القبر التي سيوجدون فيها، سيسمعون صوتًا عظيمًا قائلاً: ها هوذا الختن قد أتى، فاخرجوا لملاقاته. حينها، سيرتعد الكلّ وسيُضيئون مصابيحهم، أي سيُجاهدون روحيًا. هذا سيكون حسنًا للمسيحيِّين الحكماء، فنفوسهم ستلتهب بحلاوة العشق الإلهي، لكنَّه سيكون رديئًا للجهلاء، لأنَّ نفوسهم ستموت، كمصباح دونَ زيت، سيظلمون ويبردون بسبب افتقارهم لمحبَّة الله، مصدر المحبَّة، وسيبدأون بتذوُّق عذابات الجحيم. سيسألون المسيحيِّين الحكماء زيتًا، أي الإحسان، لكنَّهم لن يُعطوهم إياه لئلَّا ينقصهم. حينها سيذهب الجهلاء إلى الباعة، أي سيفطنون فجأة إلى أعمال الإحسان وسيبحثون عن فرصة لإتمامها. لكن في هذا الوقت، بينما يتمنون أنْ يعملوا أعمالاً صالحة، سيأتي الختن، وسيُطبقُ عليهم الموت فجأة فيجعلهم ماثلين في حضرة الديان، عراة من الفضائل، تفوح منهم رائحة نتنة نتيجة مخالفاتهم. سيشتهون أن يلجوا إلى داخل الخدر السماوي المُعدّ لنا منذ أن خُلقنا، أي غاية حياتنا. لكنَّ ربّهم سيمنعهم من الدُّخول قائلاً لهم: «إِنِّي مَا أَعْرِفُكُم»، ويُكمل هذا المثل قائلاً «إِنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلاَ السَّاعَةَ الَّتِي يَأْتِي فِيهَا ابْنُ الإِنْسَانِ» (مت ٢٥: ١٣).

الآن، كلُّنا فهمنا ترتيلة «ها هوذا الختن يأتي في نصف اللَّيل فطوبى للعبد الذي يجده مستيقظًا» أي كلّ مسيحيّ، «أمَّا الذي يجده متغافلاً (نائمًا نومة الخطيئة) فهو غير مستحقّ. فانظري يا نفسي ألَّا تستغرقي في النَّوم (أي ألَّا تستغرقي في نوم الخطيئة)، ويُغلق عليك خارج الملكوت وتسلَّمي إلى الموت. بل كوني منتبهة صارخة: قدُّوسٌ، قدُّوسٌ، قدُّوسٌ أنت يا الله، من أجل والدة الإله ارحمنا»، آمين.

عظة في يوم الجمعة العظيم والمقدّس

القديس لوقا أسقف سيمفيروبول

تعريب جنيفر سعد

«وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ، فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ»(لو ٢٣: ٤٤).

التَحفَت الشّمس بالقَتام رَهبةً لما فَعله القَتلة، الذين قتلوا ابن اللّه على الأرض، حاجبةً رؤية أشنع الجرائم التي ارتُكبت. وجرّاء الخوف والذّعر، أسْكتَت شفاه الذين قتلوا مخلّص العالم الملعونةَ وهزئوا به عند قولهم: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ!» (متى ٢٧: ٤٢).

أتت السّاعة التي بَلغَت فيها آلامُ ربّنا يسوع المسيح ذروتَها. أتعلمون لماذا الذّين أُعْدموا على الصّليب صمدوا لأيّام قُبيل وفاتهم، بينما موت ربّنا كان أسرع بكثير، بعد ستّ ساعات فقط؟ أتعلمون أنّ الألم الشّديد المستمرّ لفترة طويلة كفيلٌ وحده بالتسبّب بالموت؟ هذا تمامًا ما حصل مع الرّب يسوع المسيح. رهيبة كانت معاناته وعذاباته إذ غمره هذا العبء الذي لا يوصف المُثقل بخطايا العالم أجمع، والتي ضحّى طوعًا من أجلها وفداها بدمه الذي لا عيب فيه.

خارت قواه لدرجة أنّه استطاع أن يتلفّظ فقط بكلماته الأخيرة: «أنا عطشان» (يو ١٩: ٢٨)، «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي» (لو ٢٣: ٤٦). تزلزلَت الأرض وانشقّ حجاب الهيكل إلى اثنين، من فوق إلى أسفل. ورجع المشكّكون الذّين لم يقبلوا المسيح وهم يقرعون صدورهم. ماذا كان يفتكر هؤلاء المتعصّبون الأغبياء الذّين صرخوا لبيلاطس قائلين: «اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!» (لو ٢٣: ٢١)، «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا» (متى ٢٧: ٢٥). أتُراهم أدركوا أن الشّيطان نفسه كان يصرخ من أفواههم بتلك الكلمات الفظيعة؟

قبل ذلك بقليل، أولئكَ النّاس عينهم، خرجوا للقاء يسوع المسيح وفرشوا ثيابهم في الطّرقات وحملوا سُعُوفَ النَّخيلِ وَكَانُوا يَصْرُخُونَ: «أُوصَنَّا! مُبَارَكٌ الآتي بِاسْمِ الرَّبِّ! مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!» (يو ١٢: ١٣). هذا أمر فظيع جدًّا وهو يوضح عُمقَ توغُّل الرّوح الشّريرة في قلب الإنسان.

ولكن فلنَدَعِ جانبًا التّعصُّب الأعمى لأعداء المسيح، الذّين اعتقدوا أنّ شفاء المرضى والمشلولين يوم السّبت والمرضى والمثقلين بالأمراض والممسوسين بالشياطين والعميان، هو خطيئة كبيرة وإلغاءٌ للناموس الموسويّ. فلنفكّر بنوع آخر من التعصُّب إن وُجد في تاريخ الجنس البشريّ. لنتذكّر الهراطقةَ المتوهّمين الذّين ماتوا في لهيب محاكم التفتيش في إسبانيا. لنتذكّر ليلة القدّيس بارثلماوس التي ذُبح خلالها آلاف البروتستانت الفرنسيّون بسبب هرطقاتهم. لنتذكّر أنهار الدّماء التي أُهرقت في الحرب، عندما واجه المسيحيّون بعضهم لمدّة ثلاث سنوات كاملة.

لننظُر حولنا. نرى الكثير من النّاس الذين هم غير هرطوقيّين ولكنّهم لا يؤمنون بالمسيح إطلاقًا. وهناك الكثير ممّن ذكَرَهم بولس الرّسول: «مَنْ خَالَفَ نَامُوسَ مُوسَى فَعَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يَمُوتُ بِدُونِ رَأْفَةٍ. فَكَمْ عِقَابًا أَشَرَّ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقًّا مَنْ دَاسَ ابْنَ اللّهِ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِسًا، وَازْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ؟»(عب١٠: ٢٨-٢٩).

ما من شيء يُمكن فعله لمُساعدة هؤلاء المساكين. لَسْنا سوى قطيع المسيح الصّغير، ولا يمكننا أن ننسى كلمات مخلّصنا الرّهيبة: «مَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ، أَلَعَلَّهُ يَجِدُ الإِيمَانَ عَلَى الأَرْضِ؟» (لو ١٨: ٨). نقف جميعنا حاليًا أمام النّعش. وفي هذه اللحظة الرّهيبة، يتمّ إنزال الذّبيحة عن الصّليب، الذّي صُلب بسبب خطايانا وخطايا العالم. نرى في النّعش جسده الرّاقد مليئًا بالجروح المفتوحة. لتشتعل محبة اللّه في قلوبنا من هذا المنظر الرّهيب فالمسيح عانى كثيرًا من أجل البشر الذين أتى ليُخلّصهم لكنّهم لم يقبلوه.

تعالوا يا جميع أولاد المسيح المؤمنين لتكريم النّعش، وتقبيله بشفاهنا، ولمسه بقلوبنا، وتبليله بدموعنا. آمين.